الفصل الرابع

الصفدى

سيرة ذاتية ، وعلمية

obeikandl.com

obeikandl.com

مدينة صَفَد [١]

واحدة من أهم مدن الأُرْدُنِّ ، فى العصور الوسطى ، وهى - وإنْ لم تكن من المدن الكبيرة - ذات موقع حربى متميِّز ، فهى مشرفة على بحيرة طبريّة ، ولها قلعة حصينة تمتدُّ إلى أبوابها من البحيرة قناة من الماء العذب ، وتتصل بساتينها العامرة بالقرى ، وتنبسط على ثلاثة أجبل ، فى رَبَضٍ متّسع غنىٍّ بالثروات الزراعيّة ، والخيرات الوفيرة ، وقد اتخذ منها الصليبيّون مركزًا لترويع المسلمين الآمنين ، وعندما افتتحها الملك الظاهر [٢] فى سنة ٦٦٤ هـ أمر بأنْ يخرج أهلها إلى تل بالقرب منها كانوا يَقْتُلُون فيه مَنْ ظَفِرُوا به من المسلمين ؛ فضُربت أعناقهم جميعا ، وأخلى المدينة ممن كان فيها ، ورأى أنْ يجعل سكّانها من المقاتلين ليتمكّنوا من حمايتها ، إذا فكّر العدو فى مهاجمتها ؛ فأحضر جماعة من المجاهدين ، ورتّب لهم من الأموال والغلال ما يعتمدون عليه ، وحمل إليهم من السلاح والعتاد الحربى كل ما يحتاجون إليه ، وجعل أرضها ملكا لهم ، يتوارثه

---

(١) مدينة فى جبال عاملة المطلّة على حمص . انظر : معجم البلدان ٣ / ٤١٢ ، وتقويم البلدان ١٤٢ ، وذكر أبو الفداء أنّها بفتح الصاد المهملة ، والفاء ، ثم مثنّاة من فوق « صفت » والمشهور على ألسنة الناس صفد بالدال المهملة مكان التاء . وانظر : مملكة صفد ١٣ - ٣٢ ، وكان الملك الصالح الأيوبى إسماعيل قد تنازل عنها للصليبيين فى سنة ١٢٤٠م . انظر : دائرة المعارف ١٤ / ٢١٦ .

(٢) أبو الفتح ، بَيْبَرْس بن عبد الله ، ركن الدين ، العلائى ، البُنْدُقْدَارِىّ ، الملك الظاهر (٦٢٥ - ٦٧٦ هـ) أصله من أسر القِبْجَاق ، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وظل يرتقى إلى أنْ أصبح أتابك العسكر ، فى زمن الملك المظفر قُطُز ، وكان واحدًا من الأمراء الذين حقّقوا النصر العظيم على المغول فى موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ ، وشارك فى قتل قُطُز ، وأصبجح سلطان مصر والشام ، له دور بارز فى جهاد الصليبيين . راجع : الوافى بالوفيات ١٠ / ٣٢٩ ، والأعلام ٢ / ٧٩ .

الأبناء عن الآباء [١] ، وكان الأمير عبد الله – جد الصفدى – واحدا من الذين منحوا إقطاعا فى صفد ؛ فاعتزل السياسة ، وتفرّغ للأعمال المدنيّة والزراعيّة ، وفى ظل رفاهة العيش ، وسعة الرخاء ، نشأ أيبك [٢] – والد الصفدى – وأبناؤه من بعده يملكون المال الكثير ، والجاه العريض ، وفى خدمتهم المماليك والأتباع [٣] .

بنى الملك الظاهر فى رَبَض المدينة المسجد الجامع ؛ تقام فيه الصلوات ، ويحفّظ فيه القرآن الكريم ، وتلقى فيه دروس العلم ، ومنذ أنْ أصبحت واحدة من النيابات الإداريّة ، وأصبح لها حاكم وديوان للإنشاء ، واتّسعت عمارتها أمَّها العلماء ، وقصدها أصحاب الحرف والصنائع ، وأصبحت مركزًا هامّا من مراكز العلم والثقافة .

اسمه ونسبه : هو الإمام الأديب أبو الصفاء ، خليل بن أيبك بن عبد الله ، الألبكى ، السيفى ، الفارى [٤] الصفدى ، المشهور فى كنيته صلاح الدين [٥] من أصل تركى ، وُلِدَ فى صفد ، وإليها نسبته ، وذكر أنّه ولد فى سنة ٧٩٦ هـ [٦] ولكنّ هناك الكثير من الشواهد ترجح أنْ يكون مولده قبل هذا التاريخ بنحو عشر سنوات ، منها :

أولاً : روى ابن حجر [٧] فيما ذكره الصفدى عن نفسه أنَّ أباه لم يمكّنه من

---

(١) راجع : التحفة الملوكيّة فى الدولة التركية ، لبيبرس المنصورى ٥٧ ، وتاريخ الشعوب الإسلاميّة ، لبروكلمان ٣٦٩ ، وأطلس التاريخ الإسلامى ٢٧١ ، والمماليك ، للباز العرينى ١٦٧ .

(٢) أَيْبَك : لفظ تركى مركب من كلمتين : أى ومعناه القمر ، وبك بمعنى أمير ، فمعنى الاسم أمير قمر . انظر : المنهل الصافى ١ / ٦ ، الحاشية .

(٣) كان الأمير أيبك مستشارا لقَبْجَق المنصورى ، نائب الشام ، وصديقا ملازما له (الوافى بالوفيات ٢٤ / ١٧٨ – ١٨٥) وكان لعمه شرف الدين المكانة السامية – مثل التى لأبيه – لدى قَرَاسُنْقُر الجوكندار المنصورى ، نائب الشام . انظر : الوافى بالوفيات ٢٤ / ٢١٥ .

(٤) نسبة إلى الفار ، وهى بلدة من نواحى أرمينية . انظر : معجم البلدان ٤ / ٢٢٥ .

(٥) جاء لقبه فى إجازة شافع بن على له « غرس الدين » . انظر : أعيان العصر ٢ / ٥٠٦

(٦) نفسه ١ / ٣٨ .

(٧) أبو الفضل ، أحمد بن على بن محمد ، الكنانى ، العسقلانى شهاب الدين ابن حجر (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ) من أئمة العلم ، مؤرخ ، فقيه ، محدث ، شاعر ، ولى قضاء مصر مرات ، وتصانيفه كثيرة ، أشهرها الدرر الكامنة ، وإنباء الغمر ، وتهذيب التهذيب ، وديوان شعره . انظر : الأعلام ١ / ١٧٨ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٠ .

الاشتغال حتّى استوفى عشرين سنة [١] ، ولفظ الاشتغال - فى اصطلاح القوم - يعنى : طلب العلم ، ويذكر الصفدى أنّه كتب الدّرْج فى صفد سنة ٧١٧ هـ [٢] ، لمدة سنتين ، ونصف للأمير حسين بن أبى بكر بن جَنْدر بك [٣] ومن المعلوم أنّ هذه الوظائف الكتابيّة لا يتولّها إلاّ من رسخت أقدامهم فى الأدب ، وامتلكوا ناصية القول ، وما كان الصفدى ليطلب العلم ، ويبرع ، ويعمل كل ذلك فى سنة واحدة ، إنْ صحّت رواية ابن حجر ، وفى ظنّى أنّها صحيحة ؛ لأنَّ الصفدى اشتكى من موقف أبيه الذىلم يكن له تعلّق بأسباب العلم ، وكان يريد له ، ولإخوته أنْ يكونوا من أرباب السيوف ، لا من حملة الأقلام ، قال [٤] :

أُهَاجِرُ حَمْلَ السَّيْفِ حِرْفَةَ وَالِدِى ... وَأَجْهَدُ طُولَ الْعُمْرِ فِى طَلَبِ الْعِلْمِ

فَيَا عَجَبًا إِنْ كُنْتُ مِمَّنْ يُعَدُّ فِى ... أُولِى الْعِلْمِ مَا بَيْنَ الْوَرَى ، وَأَبِى أُمِّى

ثانيا : مرّت بنا الأبيات التى قالها الصفدى فى مناسبة عودة الملك الناصر إلى عرشه للمرّة الثالثة فى سنة ٧٠٩ هـ [٥] ، ويبعد أنْ تكون من شعر صبىٍّ فى الثانية عشرة من عمره ، يعيش فى بلد بعيد عن عاصمة الملك ، وليس له اهتمام بالسياسة ؛ ومتابعة الأحداث الخطيرة ، فضلا عن التعبير عنها ، والمشاركة فيها ؛ لصغر سنّه ، إلاّ أنْ تكون رياضة عقليّة ، وأنْ يكون قد كتبها فى غير وقتها ، وهو احتمال ضعيف .

ثالثا : محاورات الصفدى لابن تيمية ، بدمشق ، فى سنة ٧١٧ هـ ، فى تفسير بعض آيات القرآن الكريم تدل على اطلاع واسع وعلم غزير ، وليست مجرد حوار بين أستاذ ، وتلميذ فى بَدْء اشتغاله بالعلم [٦] .

---

(١) الدرر الكامنة ٢ / ٨٧ .

(٢) الوافى بالوفيات ١٢ / ٣٧٤ ، وأعيان العصر ٢ / ٢٥٩ .

(٣) حاكم صفد (ت ٧٢٨ هـ) قال الصفدى : « كتبت له الدرج ، وترسّلت عنه ، وكان يستصحبنى معه فى أسفاره شاما ، ومصرا » .

انظر : الوافى بالوفيات ١٢ / ٣٤٧ ، وأعيان العصر ٢ / ٢٥٩ .

(٤) الثغر الباسم (مخطوطة تونس) ٧٥ م أ .

(٥) انظر: صفحة ١٣ .

(٦) انظر : الوافى بالوفيات ٧ / ٢٠ ، والغيث المسجم ٢ / ٢٤ .

رابعا : اضطربت أقوال مترجميه فى تاريخ مولده ، فتلميذه ابن حمزة الحسينى [١] قال [٢] : مولده تقريبا فى سنة ٦٩٦ هـ ، وقال ابن حجر : إنّ مولده فى سنة ٦ أو ٦٩٧ هـ [٣] ، وذكر المقريزى [٤] أنّه ولد فى سنة ٦٩٠ هـ [٥] ، وفى بعض المصادر جاء مولده فى سنة ٦٦٩ هـ [٦] ، وأظنه تصحيف ، أو خطأ مطبعى ، ويبدو أنّ ما ذكره المقريزى قريب من الصواب .

نشأته وطلبه العلم : نشأ الصفدى – على ما ينشأ عليه أبناء المماليك – نشأة عربية خالصة : فحفظ القرآن الكريم ، وقرأ الحديث ، والأصلين ، والفقه ، وتعلّم الكتابة ، والرسم ، ودرس الحكمة ، والهيئة ، والحساب ، والمنطق ، وبرع فى الخط والأدب ، والتاريخ ، ونظم الشعر ، وطاف مع الطلبة فى دمشق ، وحلب ، والقدس ، والقاهرة ؛ فأجاد ، وأتقن النحو ، والبلاغة ، واللغة ، وهى الثقافة الضرورية لكتاب الإنشاء فى عصره .

وكان الصفدى حريصا على طلب العلم ، والاستفادة من العلماء ؛ فنراه يسأل عددا من العلماء عن معانى آيات من القرآن الكريم ، من مثل قوله تعالى : ﴿ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾ [٧] ، ويذكر آراءهم ، ويعلّق عليها [٨] ، ويبدو أنّه ظَلَّ يقرأ ، ويكتب ويعلّم حتى آخر يوم فى حياته ؛ فقد ترجم على بن إسماعيل بن جعفر وذكر

---

(١) أبو المحاسن ، محمد بن على بن الحسن ، شمس الدين ، الحسينى ، الدمشقى (٧١٥ – ٧٦٥ هـ) حافظ ، مؤرخ ، له مؤلفات كثيرة ، منها ذيل العبر .
انظر : الأعلام ٦ / ٢٨٦ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ٣١٥ .

(٢) ذيل العبر ٤ / ٢٠٣ .

(٣) الدرر الكامنة ٢ / ٨٧ .

(٤) أبو العباس ، أحمد بن على بن عبد القادر ، تقى الدين ، المقريزى (٧٦٦ ـ ٨٤٥ هـ) مؤرخ الديار المصرية فى وقته ، مولده ووفاته بها ، له مؤلفات كثيرة أشهرها الخطط ، والسلوك ، والمقفى الكبير .
انظر : الأعلام ١ / ١٧٧ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ١١ .

(٥) المقفى الكبير ٣ / ٧٦٧ .

(٦) مفتاح السعادة ١ / ٢٥٨ .

(٧) سورة الكهف ١٨ : ٧٧

(٨) انظر : الوافى بالوفيات ٢١ / ٩٦ ، وأعيان العصر ٣ / ٣٣٨ .

أنّه توفى بعد عصر الخميس ليلة عيد رمضان سنة ٧٦٤ هـ ، أى قبل وفاة الصفدى بعشرة أيّام فقط [١] ، ونجد فى أعيان العصر تراجم الكثير من المعاصرين له كتبها قبيل وفاته بشهر ، أو أشهر [٢] .

وأصبح الصفدى رُحْلَة الطالبين ، وتصدّر للإفادة بالجامع الأموى ، وتولّى نظر المدرسة التقوية بدمشق [٣] ، نيابة عن الملك الأفضل [٤] ، وقصده العلماء والدارسون ، من كل مكان ، وتلمذ له كثير من النابهين ، وسمع منه بعض شيوخه .

أعماله و وظائفه :

كانت الوظائف الكتابية فى النظام الإدارى المملوكى تبدأ بكتّاب الدّرْج : وهم الذين يكتبون ما يوقّع به كاتب السر ، أو كُتّاب الدّسْت ، أو إشارة النائب ، أو الوزير ، ونحو ذلك من المكاتبات ، وبعد أن يمهَر كاتب الدّرْج يرقّى إلى درجة « كتّاب الدّسْت » : وهم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان بدار العدل ، وهم أحقّ كتاب ديوان الإنشاء باسم « الموقّعين » ، ويرأس هؤلاء جميعا « كاتب السر » ويتولّى هذه الوظيفة أجلّ كتّاب البلاغة ، وهى أعلى درجات الوظائف الكتابية ، ويخاطب بـ « الشيخ الأجل » ، و بـ « القاضى » ، والسلطان يستشيره فى أكثر أموره [٥] ، وهو فى درجة الوزير [٦] ، ويسمَّى متولّو هذه الوظائف باسم « حملة الأقلام » .

ولقد اعتمدت ما كتبه الصفدى بنفسه ، عن نفسه ، فى مؤلفاته لبيان وظائفه ،

---

(١) أعيان العصر ٣ / ٣٠١ .

(٢) راجع - مثلا - : أعيان العصر ١ / ٢٠٢ ، و ٤ / ٢٧٩ ، و ٥ / ٤٢ ، و ٥ / ٤٠٥ .

(٣) أعيان العصر ٤ / ٣٢٤، والمدرسة التقوية هى التى أنشأها الملك المظفر ، تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، فى سنة ٥٧٤ هـ .

انظر : الدارس فى تاريخ المدارس ١ / ١٦٢

(٤) ناصر الدين ، محمد بن إسماعيل بن على ، الملك الأفضل (ت ٧٤٢ هـ) تولّى ملك حماة بعد وفاة أبيه ، كان عالما ، أديبا ، كريم الأخلاق . انظر : الوافى بالوفيات ٢ / ٢٢٤ ، وأعيان العصر ٤ / ٣٢٢ ، والمختصر « التتمة » ٤ / ١٣٦ ، والدرر الكامنة ٣ / ٣٨٨ .

(٥) صبح الأعشى ١ / ١٣٧ .

(٦) الخطط المقريزية ٢ / ٢٤٣ .

وأوّلها كتابة الدّرْج فى صفد ، فى أواخر سنة ٧١٧ هـ ، للأمير حسين بن جندر بك ، والى صفد ، ولمّا طُلب الأمير إلى مصر توجّه إليها ، ومعه الصفدى ، يكتب له ، والراجح أنَّ الإقامة طابت له فى القاهرة ، ولم يسْع فى الانتقال منها إلاّ بعد وفاة الأمير ابن جندر بك فى سنة ٧٢٨ هـ ، وذلك لأسباب ، منها :

* مكانة الأمير ، ومنزلته لدى السلطان .
* الصداقة القويّة التى جمعت بينه وبين الأمير .
* ما وجده فى القاهرة من علو القدر ، وسمو الدرجة .
* من لقيه فيها من كبار العلماء والأدباء .

وقد أكثر الصفدى – فى شعره – من تعبيره عن حبّه مصر ، وتعلّقه بها ، من مثل قوله [١] :

مَنْ شَاهَد الأَرْضَ وَأَقْطَارَهَا ... وَالنَّاسَ أَنْوَاعًا ، وَأَجْنَاسَا
وَلاَ رَأَى مِصْرًا ، وَأَهْلَهَا ... فَمَا رَأَى الدُّنْيَا ، وَلاَ النَّاسَا

وقوله [٢] :

رَأَيْتُ فِى أَرْضِ مِصْرٍ مُذْ حَلَلْتُ بِهَا ... عَجَائِبًا مَا رَآهَا النَّاسُ فِى جِيلِ
تَسْوَدُّ فِى عَيْنَىَ الدُّنْيَا ، فَلَمْ أَرَهَا ... تَبْيَضُّ إلاَّ إذَا مَا كُنْتُ فِى النِّيلِ

وقوله [٣] :

لِمْ لاَ أَهِيمُ بِمِصْرٍ ... وَأَرْتَضِيهَا ، وَأَعْشَقْ
وَمَا تَرَى العَيْنُ أَحْلَى ... مِنْ مَائِهَا إِنْ تَمَلَّقْ

وفى شعره وصف لآثار مصر : كالأهرام ، وأبى الهول .

ووصف لمتنزهاتها ، ورحلات الصيد فيها ، وكتب إلى بعض الأصحاب وهو بالمخيّم المنصوب على الأهرام ، يقول [٤] :

---

(١) بدائع الزهور ١ / ١ / ٤٩ .
(٢) الروض الباسم والعرف الناسم « مخطوط تونس » ٤٨ / ب ، وبدائع الزهور ١ / ١ / ٥٠ .
(٢) الروض الباسم « تونس » ط ٤٩ / أ ، والنجوم الزاهرة ١ / ٥٢ ، وبدائع الزهور ١ / ١ / ٥٠ .
(٤) الروض الباسم « تونس » ٥٢ / ب .

أَيَا سَادَةُ ، كَمْ أُدِيرَتْ لَنَا بِرَاحَاتِهِمْ بِنْتُ كَرْمِ الكَرَمْ
أَعَدْتُمْ شَبَابِى الَّذِى قَدْ مَضَى عَلَى أَنَّكُمْ جِيرَتِى فِى الهَرَمْ

لمّا توفى ابن جندر ، كان عبد الله بن تاج الرئاسة [١] - ناظر الدولة مع الوزير مُغَلْطَاى الجمالى [٢] - وباشر العمل فى شوال سنة ٧٢٨ هـ ، طلب الصفدى ، وقال له : « أشتهى أنْ تكتب عنى المكاتبات ، والأجوبة ، ورتّب لى عليه شيئا ، وكنت أبيت معه ، وأصبح ، وأنا فى جامكيّته [٣] ، وجرايته ، وقماشه ، فيعاملنى بآداب كثيرة ، وحشمة زائدة ، إذا جاءته قَصَّة ، أوكتاب قلب ذاك ، وكتب فى ظهره : مولانا يتصدّق ، ويكتب بكيت ، وكيت ..» [٤] .

أقام الصفدى فى القاهرة حتى مستهل شعبان من سنة ٧٢٩ هـ ، وهو تاريخ إجازة ابن نباتة له [٥] .

وفى آخر سنة ٧٢٩ هـ ، أُسْنِدت إليه وكالة بيت المال وكتابة الدَّرْج فى مدينة «رحبة مالك بن طوق » [٦] ، فوصل إليها فى شهر المحرم من سنة

---

(١) الصاحب ، الرئيس ، أمين الملك ، عبد الله بن تاج الرئاسة (ت ٧٤٠ هـ) وزير الديار المصرية والشامية ، كان نصرانيا ، وأسلم . انظر : الوافى بالوفيات ١٧ / ٨٨ ، وأعيان العصر ٢ / ٦٥٨ ، وتذكرة النبيه ٢ / ٣٢٣ ، والدرر الكامنة ٢ / ٢٥١ .

(٢) علاء الدين ، الناصرى ، الجمالى ، المعروف أولا بمُغَلْطَاى خُرُز (ت ٧٣٠ هـ) كان من أكبر مماليك السلطان الملك الناصر محمد ، وكان أمير مائة ، مقدم ألف كان أستاذ دار ، وأمير منزل ، وتولّى معهما الوزارة ، ولم يجتمع ذلك قبله لغيره .

انظر : أعيان العصر ٥ / ٤٣١ ، والدرر الكامنة ٤ / ٣٥٥ .

(٣) الجامكية ، والجراية : هى رواتب خدَّام الدولة « وجراية الخبز واللحم » هى ما يجرى على العاملين كالجند ، وفى المعنى نفسه كانوا يستعملون « الوظيفة والراتب » . انظر : المجموع اللفيف ١٠٣ .

(٤) الوافى بالوفيات ١٧ / ٨٨ ، وأعيان العصر ٢ / ٦٦٢.

(٥) أبو بكر ، محمد بن محمد بن محمد ، الفارقى ، جمال الدين المصرى (٦٨٦ - ٧٦٨ هـ) شاعر ، أديب . انظر : معجم الشيوخ ٢ / ٢٧٨ ، ودرة الأسلاك ٤٤٤ ، وتذكرة النبيه ٣ / ٣٠٤ ، والمقفى الكبير ٧ / ١٠٣ ، والأعلام ٧ / ٣٨ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ٢٧٣ .

(٦) رحبة مالك بن طوق : مدينة بين الرّقة وبغداد ، على شاطئ الفرات ، إليها تنسب الثياب الرحبية ، وتعرف برحبة الشام .

انظر : معجم البلدان ٣ / ٣٤ ، والمشترك وضعا ٢٠٣ ، وتقويم البلدان ٢٨٠ ، وانظر مقدمة الشريشى لشرح المقامة الرحبية ١ / ٣٧٤ . =

٧٣٠ هـ [١] ، وأقام فيها إلى أنْ جاء عوضا عنه ، على وظائفه محمد بن أحمد بن يعقوب ، ورجع هو إلى دمشق ، فدخلها فى يوم الخميس ٨ من شهر ربيع الأول سنة ٧٣١ هـ ، وذلك فى وظيفة كاتب درج ، مكان القاضى بدر الدين محمد بن عثمان بن أبى الوفاء ، العزازى ، الذى توفى فى ذى الحجة من سنة ٧٣٠ هـ [٢] .

ويبدو أنَّه كره المقام برحبة مالك بن طوق ، وذمّها فى كثير من شعره ، من ذلك قوله [٣] :

وَلَقَدْ حَلَلْتُ بِبَلْدَةٍ حَاشَا لَظَى وَقَبِيحِ مَنْظَرِهَا الشَّنِيعِ الحَالِكِ
وَسِعَتْ لأَنْوَاعِ الهُمُومِ عَلَى الفَتَى فَلِـذَاكَ سَمَّـوْهَا بِرَحْبَـةِ مَالِكِ

استقرّ الصفدى فى دمشق ، منذ ذلك التاريخ ، واتخذها دار مقامه ، ولم يغادرها إلاّ فى فترات قليلة كان يُطْلَب فيها إلى القاهرة ؛ لأداء بعض المهام ، أو للترقية ، ويعود بعد وقت قصير إلى دمشق ، وقد أمكننى معرفة بعض هذه الأوقات ، فمن ذلك :

* عمل فى القاهرة فى سنة ٧٣٨ هـ ، وطُلِب منها ، إلى دمشق فى سنة ٧٣٩ هـ لكتابة الإنشاء [٤] .

* رقّى إلى درجة موقع دست فى القاهرة سنة ٧٤٥ هـ أيّام الملك الصالح إسماعيل [٥] ، وكتب عنه رسالة إلى ملك المغرب ، فى سنة ٧٤٥ هـ [٦] .

= ومالك بن طوق بن عتاب – من بنى ثعلبة ، وكنيته أبو كلثوم – قائد شجاع ، جواد كريم ، مدحه أبوتمّام ، وكان شاعرا فصيحا ، وكان أميرا على الجزيرة . انظر : الأعلام ٥ / ٢٦٢ .

(١) منشآت الصفدى ٢١ / ب .

(٢) انظر : أعيان العصر ١ / ٦٠ ، ٣٠٨ ، ٣/ ٥٩٩ ، و٤ / ١٨١ ، و ٢٥٧ و٢٧٦ ، ٥٥٩ .

(٣) الروض الباسم « تونس » ٥٣ / أ ، والوافى بالوفيات ١٢ / ٣٧٢ ، والغيث المسجم « طبع الأزهرية » ١ / ٧٠ ، و٢ / ٢٣٧ .

(٤) أعيان العصر ٣ / ٤١ .

(٥) الوافى ١٣ / ٣٤١ ، وأعيان العصر ٢ / ٣١٦ .

(٦) أعيان العصر ٣ / ٣٩٩ .

* وتولى كتابة السر فى حلب ، فى سنة ٧٥٩ هـ [١] وفى أوائل صفر سنة ٧٦٠هـ ، توجه القاضى ناصر الدين إلى كتابة سر حلب عوضا عنه [٢] ؛ فحضر إلى دمشق عوضا عن القاضى أمين الدين ابن القلانسى [٣] على وظائفه : « وكالة بيت المال وتوقيع الدست » [٤] .

هذه الفترات القليلة لم تقطع صلته بدمشق ، فأقام فيها إلى أنْ وافته منيّته ، وكان - بحكم وظائفه - يصحب الأمراء فى يوم إقامتهم ، ويوم ظعنهم ، ولا يتخلّف عن ركب الأمير إذا خرج للصيد ، ويحضر معه لقاءه السلطان ، فنراه يسافر فى خدمة الأمير سيف الدين تُنْكز [٥] ، إلى مصر ، ويصحبه الأمير أسد الدين ابن الأوحد لأداء فريضة الحج فى سنة ٧٥٥ هـ [٦] ، وهو فى هذه الرحلة المباركة - كما فى غيرها من رحلاته المتعددة - يُقْرِئ فى تَبُوك [٧] ، وفى المدينة المنوّرة ، ويجيز المستجيزين ، ويسعى إليه العلماء والدارسون ، فى كُلِّ مكان يحِلُّ فيه .

والجدير بالذكر أنَّ هذا المنهج الذى ارتأيته ، والمعتمد على كتب الصفدى يصحّح بعض المعلومات الخاطئة التى يتناقلها الدارسون المعاصرون دون تمحيص أو توثيق ، فمن ذلك :

* ذهب الدكتور محمد على سلطانى إلى أنّ المقام طال به فى القاهرة ، واستمر فى عمله بها إلى حوالى سنة ٧٦٠ هـ [٨] ، وعنه ينقل الدكتور المحمدى عبد العزيز الحناوى [٩] ، وهو ادّعاء باطل ، لا دليل عليه .

* اطمئنان الباحثين إلى قول التاج السبكى [١٠] : « وكنت قد ساعدته آخر عمره

---

(١) نفسه ١ / ١٢٩ .

(٢) محمد بن يعقوب بن عبد الكريم ، له ترجمة فى أعيان العصر ٥ / ٣١١ .

(٣) محمد بن أحمد بن محمد ، له ترجمة فى أعيان العصر ٤ / ٣١٠ .

(٤) نفسه ٤ / ٣١١ ، و٥ / ٣١٤ .

(٥) نفسه ٢ / ٤٧٧ .

(٦) الوافى بالوفيات ١٠ / ٢٦٨ .

(٧) موضع بين وادى القرى والشام . انظر : معجم البلدان ٢ / ١٤ .

(٨) مقدمة نصرة الثائر ٢٢ .

(٩) مقدمة فض الختام ٥ .

(١٠) طبقات الشافعية الكبرى ١٠ / ٥ .

فَوَلِى كتابة الدّست بدمشق ، ثم ساعدته فولى كتابة السر بحلب ، ثم ساعدته فحضر إلى دمشق على وكالة بيت المال وكتابة الدست » ، وقد مرّ القول بأنَّ الصفدى تولّى كتابة الإنشاء فى دمشق فى سنة ٧٣١ هـ ، وكان عمر السبكى فى هذا التاريخ أربع سنوات ؛ فكيف يُسْتَشار صبى من عامة الناس فى اختيار أمير من أمراء المماليك - فى دولتهم - لمنصب كبير من مناصب الوزارة ؟ وتشير الأدلّة إلى أنّ السبكى لم يكن ذا كلمة مسموعة لدى أمراء المماليك ؛ فإنّه فى الوقت الذى يذكره كان قد اتهم بالكفر ، وعُزِل عن منصبه ، وأُتِى به والأغلال فى عنقه من الشام إلى مصر ، وجرى عليه من المحن مالم يجر على قاض قبله [١] ، ومما يرجّح الشك فى صحة هذه المساعدات المزعومة إهمال جميع المؤرخين المعاصرين للسبكى - ومن جاءوا من بعده - الإشارة إليها ، أو الحديث عنها .

شيوخه :

عندما راجعت كتب الصفدى - وبخاصة أعيان العصر - دوّنت فى مذكرتى أسماء شيوخه ، وتلاميذه ، وأصحابه الذين ذكرهم ، وتحدّث عمّا استفاده منهم ، وما رواه عنهم ، وهم عدد كبير من مشاهير القرن الثامن الهجرى ؛ من الرجال ، ومن النساء ولمّا وجدت أنّ صفحات تلك المذكرة زادت عن أربعمائة صفحة رأيت أنْ أعدّها للنشر فى كتاب خاص بهم ، كمعجم لشيوخه ، ولذلك أكتفى هنا بذكر بعضهم ، مرتبين على حروف الهجاء ، وهم :

ابن تيمية : أبو العباس ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، تقى الدين ، الحرّانى [٢] ، وكان إعجاب الصفدى به لا حدود له ، وأثره فيه عظيما يقول عنه : « كنت أحضر دروسه ، ويقع لى فى أثناء كلامه فوائد ، لم أسمعها من غيره ، ولا وقفت عليها فى كتاب » .

ابن فضل الله العُمَرِى : أبو العباس ، أحمد بن يحيى بن فضل الله بن المجلّى

---

(١) انظر : البداية والنهاية ١٤ / ٢٩٥ ، والدرر الكامنة ٢ / ٤٢٨ .

(٢) سبق التعريف به فى صفحة ٤٦ هامش ٢ .

ابن دعجان ، القاضى شهاب الدين ، القرشى العدوى ، العمرى ، الدمشقى (٧٠٠ - ٧٤٩ هـ) شاعر ، أديب ، من كتاب الإنشاء [١] .

صنّف : فواضل السمر فى فضائل آل عمر ، أربع مجلدات وكتاب « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » ، فى أكثر من عشرين مجلّدا ، والدعوة المستجابة ، وصبابة المشتاق ، مجلد فى مدائح النبى ﷺ ، وسفرة السفر ، ودمعة الباكى ويقظة الساهر ، ونفحة الروض .

قال الصفدى عن كتاب « مسالك الأبصار » : ما أعلم لأحد مثله ، تراجمه مسجوعة جميعها ، ولى فيه عمل كثير ، فى اختيار شعره » ، وذكر أنه قرأ عليه بمصر كتابيه : سفرة السفر ، ودمعة الباكى ويقظة الساهر .

الصفدى : أبو محمد ، الحسن بن محمد ، نجم الدين ، القرشى القرطبى ، الكَرْكِىّ المولد (٦٥٨ - ٧٢٣ هـ) خطيب صفد ، ومن علمائها المبرَّزين فى النحو واللغة ، كان يكتب الإنشاء ، ويوقّع عن النواب ، فى صفد [٢] .

وهو أول من تلمذ له الصفدى وحبَّب العلم إليه ، ورغَّبه فيه ، وأخذ عنه الصفدى حبّه الكتب ، والمبالغة فى تحصيلها ، والحرص على المنافسة فيها .

وكان يُشْغِل الناس تبرُّعا ، وتخرّج به جماعة فضلاء ، وقلَّ من قرأ عليه ولم يَنْبُهُ ، وممن قرأ عليه أولا القاضى محمد بن على ابن عبد الكريم فخر الدين المصرى ، ويبدو أنّه كان معلِّما موهوبا ؛ قال الصفدى : « لم أر مثله فى مبادئ التعليم ، كان يُفَتِّق أذهان المشتغل ، ويوضِّح له طرق الاشتغال ، ولم أر مثله فى تنزيل قواعد النحو على قواعد المنطق ، وكان يحب إفساد الحدود ، والمؤاخذة فيها ، والرّد عليها ، والجواب عنها » .

ابن كَيْكَلْدِىّ : أبو سعيد ، خليل بن كَيْكَلْدِىّ بن عبد الله ، العلائى ، صلاح

---

(١) انظر : الوافى بالوفيات ٨ / ٢٥٢ ، وأعيان العصر ١ / ٤١٧ ، وفوات الوفيات ١ / ١٥٧ ، والبداية والنهاية ١٤ / ٢٢٩ ، والدرر الكامنة ١ / ٣٣١ ، ووفيات السلامى ١ / ٢٨٣ ، والمنهل الصافى ٢ / ٢٦١ ، وبدائع الزهور ١ / ١/ ٥٣٣ والذيل التام ١٠٥ ، وشذرات الذهب ٦ / ١٦٠ .

(٢) انظر : الوافى بالوفيات ١٢ / ٢٥٨ ، وأعيان العصر ٢ / ٢٣٢ ، والدرر الكامنة ٢ / ٣٤ ، والمنهل الصافى ٥ / ١٣٤ ، وشذرات الذهب ٦ / ٦١ .

الدين ، الدمشقى ، الشافعى ، الأشعرى (٦٩٤ - ٧٦١ هـ) محدث ، فقيه ، أصولى ، مفسر ، نحوى ، أديب ، مؤرخ ، إخبارى [١] .

كان أولا جنديا ، ثم ترك الجندية ، واشتغل بطلب العلم ، فسمع صحيح مسلم على الشيخ شرف الدين الفزارى ، وكمَّل عليه ختم القرآن الكريم ، وسمع البخارى على ابن مشرف ، وقرأ العربية على الشيخ نجم الدين القحفازى ، والفقه والفرائض على الشيخ زكى الدين زكرى ، وقرأ الفقه والأصول على الشيخ برهان الدين الفزارى ، وقرأ بنفسه على القاضى تقى الدين سليمان الحنبلى ، وعلى أبى بكر ابن عبد الدائم ، وعيسى المطَعّم وإسماعيل بن مكتوم ، وعبد الأحد بن تيمية ، والقاسم ابن عساكر وابن عمّه إسماعيل ، وسمع من زينب بنت شكر ، والشيخ كمال الدين الزَّمْلَكَانى ، وسمع بمكة من الشيخ رضى الدين الطبرى ، وشيوخه بالسماع نحو ٧٠٠ شيخ .

علم الدين : طلحة بن عبد الله ، الشافعى ، ، الشيخ ، الإمام ، كان فى أصله مملوكا ، يدعى « سَنْجَر » فغيّر اسمه بطلحة (ت ٧٢٥ هـ) مقرئ ، نحوى ، أصولى ، قرأ بالسبع على الشيخ موفق الدين ابن أبى العلاء ، ببعلبك ، وعلى الشيخ برهان الدين الجعبرى ، وكان يعرف « الحاجبية » ، و« مختصر » ابن الحاجب [٢] .

قال الصفدى : « قرأت عليه بحلب مدة مقامى قطعة جيدة من كتاب البيوع فى « التعجيز » ؛ لأنه كان قد أخذه على الجعبرى ، وكنت أسمع دروسه فى الحاجبية ، وفى مختصر ابن الحاجب » .

الرَّبَعِىّ : أبو محمد ، عبد العزيز بن عبد القادر بن أبى الكرم أحمد بن أبى الذَّرّ محمود ، نجم الدين ، البغدادى (٦٦٢ - ٧٤٨ هـ) عالم مشارك فى بعض العلوم ، متصوف ، مولده فى بغداد وإقامته فى دمشق ، ووفاته فى القاهرة ، تولى مشيخة رباط الرصد بظاهر القاهرة ، سمع عليه الصفدى المقامات الجزرية ، لابن

---

(١) انظر : الوافى بالوفيات ١٣ / ٤١٣ ، وأعيان العصر ٢ / ٣٢٨ ، والبداية والنهاية ١٤ / ٢٦٧ ، ووفيات السلامى ١ / ٣٤٩ ، والمنهل الصافى ٥ / ٢٨٢ ، والأعلام ٢ / ٣٢١ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ١٢٦ .

(٢) انظر : الوافى بالوفيات ١٦ / ٤٩٠ ، وأعيان العصر ٢ / ٦٢٠ ، والدرر الكامنة ٢ / ٢٢٧ وبغية الوعاة ٢ / ٢٠ ، والمنهل الصافى ٦ / ٤٣٢ ، وغاية النهاية ١ / ٣٤١ ، وأعلام النبلاء ٤ / ٦١١ .

الصَّيْقَل - وكان يرويها عن المصنف - بقراءة شهاب الدين العَسْجَدِى بالمدرسة القراسنقرية ، بالقاهرة ، فى سنة ٧٢٨ هـ [١] .

له من المؤلفات كتاب كبير سمَّاه « نتائج الشيب من مدْحٍ وعَيْب » امتلكه الصفدى بخط مؤلفه ، وله رسالة فى الرد على الشيخ تقى الدين ابن تيمية فى إنكار صحة الكيمياء ، وله غاية المزيد فى كمال المريد .

ابن خطيب جِبْرِين : أبو عمرو ، عثمان بن على بن إسماعيل ، فخر الدين ، الطائى ، الحلبى ، الشافعى (٦٦٢ - ٧٣٨ هـ) فقيه ، مقرئ ، قاضى قضاة حلب ، مولده ووفاته فى القاهرة [٢] .

قال الصفدى : « قرأت أنا عليه بحلب ، فى سنة ٧٢٤ هـ « الأربعين » للإمام فخر الدين الرازى ، وفى « الشمسية » مشروحة لابن المطهر ، فى المنطق ، وحَضَرَتْ دروسه الجماعة الذين يقرءون عليه فكنت أرى منه العجب ، لم يحضر إليه احد بأىّ كتاب كان ، فى أىّ علم كان ، فى أىّ باب كان ، من ذلك الكتاب إلاّ وأقرأه فيه وحلّ كلام ذلك المصنّف ، ولم أر مثله فى هذا الباب ، ولا رأى غيرى إلاّ ما حكاه لنا الأشياخ عن الشيخ كمال الدين ابن يونس ؛ فإنّه كان عجبا فى هذا الباب .

تقى الدين السُّبْكِى : أبو الحسن ، على بن عبد الكافى بن على بن تمَّام الأنصارى ، الخزرجى (٦٨٣ - ٧٥٦ هـ) قاضى قضاة الشافعية ، حافظ ، فقيه ، مفسر ، مقرئ ، أصولى ، أديب ، شاعر جامع للكثير من العلوم والفنون ، شيخ الإسلام فى عصره ، عرف بالزهد ، والورع ، وكثرة العبادة ، طاهر الثوب ، نظيف اليد ، لا تأخذه فى الحق لومة لائم ، ولمّا توفى وجد عليه دين بمبلغ اثنين وثلاثين ألف درهم ، بيعت داره ، وكتبه ، وجميع ممتلكاته فكانت ثلثى الدين ، والتزم ولداه بوفاء البقية [٣] .

---

(١) انظر : الوافى بالوفيات ١٨ / ٥٢٧ ، وأعيان العصر ٣ / ١٠١ ، ووفيات السلامى ١ / ٢٤٦ ، والأعلام ٤ / ٢١ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ٢٥٠ .

(٢) انظر : أعيان العصر ٣ / ٢٢١ و ٦٦٠، ووفيات السلامى ١ / ٦٧ ، وتذكرة النبيه ٣٠٣/٢ ، والأعلام ٤ / ٢١٠ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٢٦٢ .

(٣) سبق التعريف به فى صفحة ٤٧ هامش (١) .

ابن الصياد الفاسى : أبو الحسن ، على بن عتيق بن عبد الرحمن بن على ، المغربى ، الفاسى – وقيل : القابسى – عالم بالعربية ، والأدب ، والأصول ، والفقه ، والتفسير ، وأسماء الرجال ، والسيرة النبوية ، وكان له نظم عجيب [١] .

قال الصفدى : « ورد إلى الشام ، وقدم علينا إلى صفد ، فى سنة ٧٢٦ هـ ، وقرأت عليه « المقامات الحريرية » كاملة ، وقطعة من ديوان أبى تمام ، وديوان أبى الطيب – رواه لى بالإجازة عن أبى الحسين ابن أبى الربيع سليمان القرشى ، عن الحجاج بن محمد بن سَتَارِى – بفتح السين المهملة ، والتاء ثالثة الحروف ، وبعد الألف راء ، وبعدها ياء آخر الحروف – الإشبيلى عن بهاء البغدادى ، عن ابن جنى ، عن المتنبى ، ورواه لى بطريق أخرى – وبعض كتاب « أسرار العربية » لابن الأنبارى ، وبعض « درّة الغوّاص » للحريرى ، وكتاب « العمدة فى الأحكام » ، وبعض « الحماسة » لأبى تمام ، وبعض المقامات اللزوميَّة « التى للسرقسطى وذكرت إسناده لكل نسخة منها ، فى النسخة المقروءة عليه » .

ويذكر الصفدى أنه اجتمع به مرة ثانية ، فى القاهرة ، فى سنة ٧٢٧ هـ ، ومن هناك عاد إلى بلاده ، وكان آخر العهد به ، وكان واحدا من الأشياخ الذين أخذ عنهم ، واقتطف درّ الفوائد منهم .

ابن الرَّسَّام : أبو الحسن ، على بن محمد بن صالح ، علاء الدين ، الشافعى (ت ٧٤٩ هـ) وكيل بيت المال ، والمدرس بالجامع الظاهرى ، بصفد ، كان والده جنديّا ، واشتغل على الشيخ نجم الدين ابن الكمال ، خطيب صفد ، ثم قرأ على الشيخ صدر الدين ابن الوكيل ، فى دمشق ، وسمع الحديث بدمشق ، ومصر ، وحفظ « التعجيز » ، وطالع عليه « شرح الوجيز » ، وعنده مشاركة فى العربية ، والأصلين .

قال الصفدى : « قرأت عليه فى صفد كتاب « التعجيز » ، وهو الذى نقلنى إليه بعد ما حفظت ربع « التنبيه » [٢] .

البَنْدَنِيجِى : أبو الحسن ، على بن محمد بن ممدود بن جامع ، شمس الدين – وقيل : محب الدين – البغدادى (٦٤٣ – ٧٣٦ هـ) محدث ، متصوف ، كان

---

(١) انظر : الوافى بالوفيات ٦ / ٣٤٦ ، وأعيان العصر ٣ / ٤٥٩ ، والدرر الكامنة ٣ / ٨٠ .

(٢) انظر : أعيان العصر ٣ / ٥١٩ ، والدرر الكامنة ٣ / ١٠٥ .

بخانقاه الشميساطى ، بدمشق ، سمّعه أبوه « صحيح مسلم » على أحمد البادنينى [١] ، عن المؤيّد الطوسى ، وأسمعه « جامع » الترمذى على العفيف بن الهنىّ وحدّث بالكتابين غير مرّة ، وله إجازة من النَّشْتَبْرِى ، ومحمد بن على بن السبّاك ، وإبراهيم الزعبى ، ومحمد بن الحصرى وعبد الله بن عمر بن أبى السعادات البندنيجى ، وعلى بن عبد اللطيف ابن الخيمى ، وهؤلاء الستة من أصحاب ابن شاتيل ، وأجاز له إلياس الحجبى من أصحاب خطيب الموصل ، وأجاز له جماعة من بغداد ، والموصل ، وسمع « مسند ابن راهويه » من العز أحمد بن يوسف الأكّاف بإجازته من أبى الخير ابن الطالقانى ، وقيل : سمع من ابن الخَيِّر [٢] .

قال الصفدى : « سمعت عليه « صحيح مسلم » ، بكماله بدار الحديث الأشرفية بدمشق ، بقراءة المحدِّث ناصر الدين محمد ابن طغريل ، بحضور جماعة من الأشياخ ، منهم : شيخنا المِزِّى ، وغيره ، وكان سماع « صحيح مسلم » فى مدة آخرها سادس عشر شهر رجب ، سنة ٧٣٥ هـ » .

البرزالى : أبو محمد ، القاسم بن محمد بن يوسف ، علم الدين ، الإشبيلى ، الدمشقى (٦٦٥ - ٧٣٩ هـ) حافظ ، محدث ، مؤرخ ، سمع من أبيه ، ومن القاضى عز الدين ابن الصائغ ، وسمع « صحيح البخارى » على الإربلى ، وسمع من ابن أبى الخير ، وابن أبى عمر ، وابن عَلاّن ، وابن شيبان ، والمقداد ، والفخر ، والعز الحرّانى ، وطبقته ، وغيرهم ، وتفقّه بالشيخ تاج الدين عبد الرحمن الفزارى ، وصَحِبَه ، وأكثر عنه ، وسافر معه ، وجوّد القراءة على رضى الدين ابن دَبُوقا ، وبلغ عدد مشائخه بالسماع أزيد من ألفين ، وبالإجازة أكثر من ألف ، وله إجازات عالية عام مولده من ابن عبد الدائم ، وإسماعيل بن عَزُّون ، والنجيب ، وابن علاَّق وحدّث فى أيام شيخه ابن البخارى [٣] .

---

(١) جاء لقبه فى أعيان العصر « البادسنى » وهو تحريف ، وفى الدرر الكامنة « الباذينى » .

(٢) انظر : ذيول العبر ١٨٩ ، والوافى بالوفيات ٢٢ / ١٤١ ، وأعيان العصر ٣ / ٥١٥، ولذة السمع ٢٤ ، و١٤٧ ، والبداية والنهاية ١٤ / ١٧٤ ، والدرر الكامنة ٣ / ١١٩ ، وتاريخ علماء بغداد ، للسلامى ١٥٤ ، والسلوك ١ / ٢ / ٤٠٦ ، وشذرات الذهب ٦ / ١١٣ ، ومرآة الجنان ٤ / ٢٩٢ .

(٣) انظر مصادر ترجمة البرزالى فى صفحة ٤١ .

وتلمذ له الإمام شمس الدين الذهبى ، وهو الذى حبّب إليه الحديث ، وسمع منه ، وبه تخرّج .

تولى مشيخة دار الحديث النورية ، ومشيخة النفيسية ، ومشيخة دار الحديث ، بدمشق ، مقرئا فيها ، وولى قراءة الظاهرية سنة ٧١٣ هـ .

له ثبْت فى أربع وعشرين مجلّدًا ، أثبت فيه من كان يسمع معه ، وله كتاب فى التاريخ ، جعله صلة للروضتين ، فى ثمانى مجلدات ، بدأ فيه من عام مولده الذى توفى فيه الإمام أبو شامة وله معجم شيوخ فى كتابين مطول ومختصر ، ترجم فيهما نحوا من ثلاثة آلاف شيخ ، ومن مؤلفاته الكثيرة :

الوفيات ، والشروط وثلاثيات مسند أحمد ، ومختصر المائة السابعة ، والعوالى المسندة ، ومجاميع ، وتعاليق كثيرة .

قال الصفدى : « قرأت أنا عليه بالرواحية ... وسمعت عليه وعلى الشيخ الحافظ جمال الدين المِزِّى جزء الأربعين العوالى : من المصافحات ، والموافقات ، والأبدال » .

ابن الأَكْفَانِى : أبو عبد الله ، محمد بن إبراهيم بن ساعد شمس الدين الأنصارى ، السنجارى الأصل والمولد ، المصرى الدار والوفاة (ت ٧٤٩ هـ) عالم بالطب ، والطبيعيات ، أديب مؤرخ ، عروضى ، ناقد ، واسع المعرفة بالجواهر ، والآلات ، والعقاقير ، والحيوان ، والرقيق ، والجوارى [١] .

قرأ عليه الصفدى من مؤلفاته : إرشاد القاصد ، واللباب ، ونخب الذخائر ، وغنية اللبيب ، وروى عنه بالإجازة كشف الرين وقرأ عليه من غير مؤلفاته : قطعة جيدة من كتاب إقليدس ، ومقدمة فى وضع الأوفاق ، و « الإشارات » شرح نصير الدين الطوسى ، ورسالة الاستبصار فيما يدرك بالأبصار ، للقرافى .

ابن جَمَاعَة : أبو عبد الله ، محمد بن إبراهيم بن سعد الله ، بدر الدين ، الكنانى ، الحموى ، الشافعى (٦٣٩ - ٧٣٣ هـ) قاضى القضاة ، فقيه ، محدث ، أصولى ، مفسر ، خطيب [٢] .

---

(١) انظر : أعيان العصر ٤ / ٢٢٥ ، والأعلام ٥ / ٢٩٩ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢٠٠ .

(٢) انظر : أعيان العصر ٤ / ٢٠٨ ، وذيول تذكرة الحفاظ ١٠٧ ، والأعلام ٥ / ٢٩٧ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢٠١ .

حدّث بالشاطبية عن عبد الله بن محمد بن عبد الوارث ، وحدّث بصحيح البخارى بطريق البوصيرى ، وخرّج له المحدثون عوالى ، ومشيخات ، بمصر ، وبدمشق ، وخرّج هو لنفسه أربعين حديثا من الأحاديث التساعيات العوالى ، ودرّس أولا بدمشق فى المدرسة القيمرية ، مضافا إلى الخطابة ، فى أوّل دولة لاجين ، ثم نقل إلى قضاء القدس ، مع الخطابة به فى شوال سنة ٦٨٧ هـ ، وفى سنة ٦٩٠ جمع له بين قضاء القدس وقضاء مصر وتولى قضاء دمشق ، ومصر أكثر من مرة ، وتولى مشيخة الحديث بالكاملية ، وجامع ابن طولون ، والتدريس فى الصالحية ، والناصرية ، ثم إنّه ضعف بصره ، واستعفى من القضاء ، وترك الخلطة بالناس ، وانقطع فى منزله قريبا من ست سنين ، يزوره الناس للبركة ، والأخذ من فوائده .

قرأ عليه الصفدى « الشاطبيّة » ، ورسالته فى الأسطرلاب .

الذَّهَبِى : أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، شمس الدين ، التركمانى (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) حافظ ، مؤرخ ، محدث [١] .

قال الصفدى : « اجتمعت به غير مرّة ، وقرأت عليه كثيرا من تصانيفه ، ولم أجد عنده جمود المحدّثين ، ولا كَوْدَنَة النَّقَلة ؛ بل هو فقيه النظر ، له دُربة بأقوال الناس ، ومذاهب الأئِمَّة ، والسلف وأرباب المقالات » .

من مؤلفاته الكثيرة تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ذكر الصفدى أنّه قرأه عليه كله : المغازى ، والسيرة النبوية إلى آخر أيام الحسن رضى الله عنه ، وجميع الحوادث إلى آخر سنة ٧٠٠ هـ . وكانت القراءة فى أصل الكتاب ، بخط الذهبى .

القِمَّنِى : محمد بن الحسن بن إبراهيم ، فتح الدين ، الأنصارى .

قال الصفدى : سمعت عليه بثغر الإسكندرية فى صفر سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة جميع الحديث المسلسل ، بروايته ، عن النجيب عبد اللطيف ، الحرّانى .

ابن الحافظ : محمد بن داود بن على بن عمر بن قِزْل . المشد ، التركمانى الأصل ، شمس الدين (ت ٧٣٤ هـ) سبط الملك الحافظ بن السعيد بن الأمجد

---

(١) انظر مصادر ترجمة الذهبى فى صفحة ٤٢ .

(٢) انظر : الوافى ٢ / ٣٣٩ ، وأعيان العصر ٤ / ٣٩٦ ، والدرر الكامنة ٣ / ٤١٨ .

صاحب بعلبك ، كان فقيها حنفيا ، شاعرا ، ذكيا ، يحسن الفلك ، والرياضيات ، ويتقن الحِيَل [١] .

قال الصفدى : « قرأت عليه بصفد « رسالة الإصطرلاب » لقاضى القضاة بدر الدين بن جماعة ، وأخبرنى أنه قرأها على المصنف .... ووصف لى يوما حلّ المترجم ، وحبَّبه ، وزيَّنه .

شيخ الرَّبْوة : أبو عبد الله ، محمد بن أبى طالب ، شمس الدين الأنصارى (٦٥٤ - ٧٢٧ هـ) أديب ، ناظم ، من أذكياء العالم ، صنّف فى كل علم سواء عرفه أم لم يعرفه ، وكان يتكلم على الأوفاق ووضعها ، ويتكلم على أسرار الحروف ، ويعرف الرمل ، ويتقن ضربه [٢] .

مولده بزاوية جده الشيخ أبى طالب ، بقصر حجاج ، بدمشق ، ووفاته بصفد ، وكان صبورا على الفقر ، كثير الآلام والأوجاع ، كان يعرف بشيخ حطِّين أولا ، ثم ولى مشيخة الربوة فنسب إليها .

قال الصفدى : « رأيته بصفد مرات ، واجتمعت به مدة مديدة ... وكان يعرض شعرا كثيرا علىّ ، وأغيِّر منه كثيرا » .

قال الصفدى : « جمع هذا الشيخ كتابا فى علم الفراسة سمّاه « كتاب السياسة فى علم الفراسة » كتبته بخطى من خطه ، وتناولته منه بصفد ، ولم أر فى كتب الفراسة مثله ، وقد نقله منى جماعة أفاضل بمصر والشام ، منهم : الشيخ شمس الدين ابن الأكفانى ؛ لأنَّه جمع فيه كلام الشافعى رحمه الله ، وكلام ابن عربى ، وكلام صاحب المنصورى ، وكلام أفلاطون ، وكلام أرسطو ، فجاء حسنًا إلى الغاية » .

الحُسَيْنىّ : أبو المحاسن ، محمد بن على بن الحسن ، شمس الدين (٧١٥ - ٧٦٥ هـ) حافظ ، مؤرخ [٣] .

---

(١) انظر : الوافى بالوفيات ٣ / ٦٤ ، وأعيان العصر ٤ / ٤٣٨ ، والدرر الكامنة ٣ / ٤٣٦ .

(٢) انظر : أعيان العصر ٤ / ٤٧٥ ، والشعور بالعور ٢٠٩ ، وتايخ الأدب العربى ، لبروكلمان ق ٦/ ٥٤١ ، والأعلام ٦ / ١٧٠ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ٩٤ .

(٣) سبق التعريف به فى صفحة ٥٦ .

ابن إمام المشهد : أبو محمد ، وأبو المعالى ، محمد بن على بن سعيد ، بهاء الدين (٦٩٦ - ٧٥٣ هـ) قرأ القرآن العظيم ، وأتقنه بالروايات السبع على الكفرى ، واشتغل بالعربية على الشيخ أبى بكر بن محمد التونسى ، ولازم الشيخ نجم الدين القَحْفَازى ، وقرأ الفقه على الشيخ برهان الدين ابن تاج الدين ، ودرس الأصول ، والأدب ، وكتب الخط المنسوب [١] .

أَمَّ بدار الحديث ، ومسجد الطنيسة ، ودرّس بالقوصية ، والأمينية ، وتولى الحسبة بدمشق ، وخطابة جامع العُقَيْبَة .

قال الصفدى : جمع كتاب « الأحكام » فى ست مجلدات ، وجوّده ، وتناولته منه » .

ابن القَوْبَع : أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن عبد الرحمن ، ركن الدين ، الجعفرى ، التونسى المالكى (٦٦٤ - ٧٣٨ هـ) سمع الحديث من أبى إسحاق إبراهيم بن على الواسطى ، وأبى الفضل أحمد بن هبة الله بن عساكر ، وأبى العباس أحمد بن محسن بن ملّى وأبى القاسم الخضر بن عبد الرحمن الدمشقى، وأبى عبد الله محمد بن حمزة ابن أبى عمر المقدسى ، وتأدب بابن حُبَيش ، وقرأ المعقول على ابن الدارس ، وقرأ النحو على يحيى بن الفرج ابن الزيتون ، والأصول على محمد بن عبد الرحمن قاضى تونس .

مولده فى تونس ، وحضر إلى القاهرة فى سنة ٦٩٠ هـ ، وهو شاب ، وبها توفى [٢] .

ولى نيابة الحكم بالقاهرة ، لقاضى القضاة المالكى مدة ، وتولّى الإعادة فى الفقه بالمدرسة الناصرية ، والجامع الطولونى ، ودرّس بالمدرسة المنكوتمرية ، وكان طبيبا بالبيمارستان ، ويلقى الدروس فيه نيابة عن رئيس الطب .

---

(١) انظر : أعيان العصر ٤ / ٦٤٣ ، ووفيات السلامى ١ / ٣٠٩ ، والدارس فى تاريخ المدارس ١ / ١٤٩ ، والأعلام ٦ / ٢٨٥ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ١٣

(٢) انظر : الوافى بالوفيات ١ / ٢٣٨ ، وأعيان العصر ٥ / ١٤٨ ، ووفيات السلامى ١ / ٦٢ ، والبداية والنهاية ١٤ / ١٨٣ ، والنجوم الزاهرة ٩ / ٣١٥ ، والأعلام ٧ / ٣٥ ، ومعجم المؤلفين ٢٣٣/١١ .

قال عنه الصفدى : « لم أر له نظيرا فى مجموعه ، وإتقانه ، وتفننه ، واستحضاره ، واطلاعه ، كل ما يعرفه يجيد فيه ، من : أصول ، وحديث ، وفقه ، وأدب ، ولغة ، ونحو ، وعروض ، وأسماء رجال وتاريخ ، وشعر يحفظه للعرب والمولدين ، وطب وحكمة ، ومعرفة الخطوط - خصوصا خطوط المغاربة - قد مهر فى ذلك ، وبرع ، وإذا تحدث فى شىء من ذلك كله تكلم على دقائق ذلك الفن ، وغوامضه ، ونكته ؛ حتى يقول القائل : إنَّما أفنى عمره هذا فى هذا الفن » ، وقال : « وكان خطه مغربيا وليس بجيد ، وكنت كثيرا ما أجتمع به ، وآخذ من فوائده الغامضة » .

ابن سَيِّدِ النَّاس : أبو الفتوح ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد فتح الدين ، اليعمرى ، الأندلسى ، الإشبيلى ، المصرى (٦٧١ - ٧٣٤ هـ) مؤرخ ، فقيه ، محدّث ، شاعر ، أديب ، مولده ، ووفاته بالقاهرة [١] .

ذكر الصفدى أنَّه سمع منه من مؤلفاته : « عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير » بعضه من لفظه ، وبعضه قراءة عليه ، ومختصره « نور العيون » سمعه من لفظه ، وامتلكه بخطه و« تحصيل الإصابة فى تفضيل الصحابة » سمعه من لفظه ، وامتلكه بخطه ، و« النفح الشذى فى شرح جامع الترمذى » .

قرأ عليه من مصنفاته : « بُشْرَى اللبيب بذكرى الحبيب » ، قرأه عليه بلفظه مشروحا ، و« مِنَح المِدَح » وسمعه من لفظه إلى ترجمة عبدالله ابن الزبعرى ، و« المقامات العلية فى كرامات الصحابة الجلية » وسمع قصيدتها الميمية من لفظه .

ابن نُبَاتَة الشاعر : أبو بكر ، محمد بن محمد بن محمد ، الفارقى ، جمال الدين المصرى (٦٨٦ - ٧٦٨ هـ) شاعر ، أديب [٢] .

قال الصفدى : « سمعت من لفظه : كتاب منتخب الهدية ، والقطر النباتى .. وفرائد السلوك ... والمنتخب المنصورى ... والنحلة الإنسية فى الرحلة القدسية ،

---

(١) انظر : الوافى بالوفيات ١ / ٢٨٩ ، وأعيان العصر ٥ / ٢٠١ ، والأعلام ٧ / ٣٤ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ٢٦٩ .

(٢) سبق التعريف به فى صفحة ٥٩ .

وغالب ما أنشأه من النظم والنثر سمعته ... كنت أجلس أنا وهو عند شباك الكامليّة نتذاكر ، فى الجامع الأموى ، كل ليلة ، بعد صلاة العصر » .

الفَيْرُوزَبَادِى : أبو طاهر ، محمد بن يعقوب ، مجد الدين ، الشيرازى (٧٢٩ - ٨١٧ هـ) صاحب القاموس المحيط ومن أئمة اللغة ، والأدب ، والتفسير [١] .

ذكره الصفدى فى تذكرته ، وكتب عنه فى سنة ٧٥٧ هـ بدمشق [٢] .

وقد أشار الخوانسارى فى ترجمة الفيروزبادى إلى أنَّ الصفدى روى شيئا من شعره ، وكان من جملة تلاميذه [٣] .

أبو حَيَّان : محمد بن يوسف بن على ، أثير الدين ، الأندلسى ، الغرناطى ، الجيّانى ، الجيانى ، النَّفْزِى (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ) من أئمة اللغة ، والنحو ، والتفسير ، والأدب ، والتاريخ ، شاعر ، له اليد الطولى فى الحديث ، والشروط ، والفروع ، وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم ، خصوصا المغاربة ، وتقييد أسمائهم على ما يتلفّظون به من إمالة ، وترقيق ، وتفخيم [٤] .

قال الصفدى : « قرأت عليه « الأشعار الستة » ، وكان يحفظها ، و« المقامات الحريرية » وحضرها جماعة من أفاضل الديار المصرية ، وسمعوها بقراءتى عليه ، وكان بيده نسخة صحيحة ، يثق بها ، وبأيدى الجماعة قريب من اثنتى عشرة نسخة وإحداهن بخط الحريرى ، ووقع منه ، ومن الجماعة فى أثناء القراءة فوائد ، ومباحث عديدة ، وقال لى : لم أر بعد ابن دقيق العيد أفصح من قراءتك ، ولمّا وصلت إلى المقامة التى أورد الحريرى فيها الأحاجى ، قال : ما أعرف مفهوم الأحجية المصطلح عليها بين أهل الأدب ، فأخذت فى إيضاح ذلك ، وضرب الأمثلة له .

فقال : لا تتعب معى ، فإنّى تعبت مع نفسى فى معرفة ذلك كثيرا ولا أفاد ،

---

(١) سبق التعريف به فى صفحة ٤٠

(٢) مفتاح السعادة ٢ / ١٢٠ .

(٣) روضات الجنات ٧١٦ .

(٤) انظر : الوافى بالوفيات ٥ / ٢٦٧ ، وأعيان العصر ٥ / ٣٢٥ ، وتذكرة النبيه ٣ / ٦٨ ، ودرة الأسلاك ٣٤٥ ، والكتيبة الكامنة ٨١ ، والمقفى الكبير ٧ / ٥٠٧ ، والسلوك ١ / ٢ / ٦٧٦ ودرة الحجال ٢ / ١٢٢ ، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان ق ٦ / ٤٥١ ، والأعلام ٧ / ١٥٢ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ١٣٠ .

ولا ظهر لى ، وهذا فى غاية الإنصاف منه ، والعدالة ؛ لاعترافه لى فى مثل ذلك الجمع ، وهم يسمعون كلامه بمثل ذلك .

وقرأت عليه « سقط الزند » لأبى العلاء ، وقرأت عليه بعض « الحماسة » لأبى تمّام ، و « مقصورة » ابن دريد ، وغير ذلك ، وسمعت من لفظه كتاب « تلخيص العبارات بلطيف الإشارات » فى القراءات السبع ، لابن بَلِّيمَة ، وسمعت عليه كتاب « الفصيح » - وكان يحفظه - لثعلب بقراءة القاضى شهاب الدين ابن فضل الله ، بالقاهرة ، وسمعت من لفظه خطبة كتابه المسمى بـ « ارتشاف الضَّرَب من لسان العَرَب » .

وانتقيت ديوانه ، وكتبته ، وسمعته منه ، وسمعت من لفظه ما اخترته من كتابه « مجانى الهصر » ، وغير ذلك » .

الشهاب محمود : أبو الثناء ، محمود بن سلمان بن فهد ، شهاب الدين ، الحلبى ، الدمشقى الحنبلى (٦٤٤ - ٧٢٥ هـ) شاعر ، أديب ، فقيه ، صاحب ديوان الإنشاء ، بدمشق ، والقاهرة [١] .

قال الصفدى : « لم أر من يصدق عليه اسم الكاتب غيره ؛ لأنَّه كان ناظما ناثرا ، عارفا بأيّام الناس ، وتراجمهم ، ومعرفة خطوط الكُتَّاب ، وله الروايات العالية بأمهات كتب الأدب ، وغيره .

قال الصفدى : « قرأت بعض ديوان أبى الطيب أحمد بن الحسين المتنبى على القاضى العلامة شهاب الدين أبى الثناء محمود وأجازنى روايته ، عنه بحكم روايته الديوان عن الشيخين الإمامين شرف الدين الحسين بن إبراهيم بن الحسين ، الإربلى ، وتقى الدين إسماعيل بن إبراهيم ، أبى اليسر ، التنوخى ، بحقّ سماعهما من تاج الدين أبى اليمن زيد بن الحسن الكندى ، على أبى محمد عبد الله سبط الخياط ، المقرئ ، عن محمد بن عبد الله بن يحيى الوكيل ، عن أبى الحسن ، عن المتنبى » .

---

(١) انظر : المختصر فى أخبار البشر ٤ / ، ومعجم الشيوخ ٢ / ٣٢٩ ، وذيول العبر ٧٣ ، والوافى بالوفيات ٣ / ٣٥٩ ، ٦ / ٣٤٦ ، وتذكرة النبيه ٢ / ١٥٢ والدليل الشافى ٢ / ٧٢٤ ، وبدائع الزهور ٤٥١/١/١ ، وأعلام النبلاء ٤ / ٥٠٩ ، والأعلام ٧ / ١٧٢، ومعجم المؤلفين ١٢ / ١٦٧ .

وقرأ عليه الصفدى « المقامات الحريرية » كلها ، والتى يرويها أبو الثناء بالإجازة عن الشيخ مجد الدين ابن الظهير الإربلى بسند متصل إلى الحريرى ، وقرأ عليه « ألفية ابن مالك » التى يرويها عن المؤلف . وقرأ عليه « الحماسة » لأبى تمام ، وقرأ عليه له كتابيه : « أهنا المنائح فى أسنى المدائح » ، و« حسن التوسل إلى صناعة الترسل » .

الأصبهانى : أبو الوفاء ، محمود بن عبد الرحمن بن أحمد ، شمس الدين ، الهمذانى (٦٧٤ - ٧٤٩ هـ) مفسر ، متكلم ، فقيه ، صوفى ، أصولى ، منطقى ، عروضى ، نحوى [١] .

ولد بأصبهان ، وتوفى بالقاهرة .

تولّى تدريس الرواحيّة ، بدمشق ، وبنى له الأمير سيف الدين قوصون الخانقاه العظيمة بالقرافة ، بالقاهرة ، وجعله شيخها .

المِزّى : أبو الحجاج ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، جمال الدين ، القضاعى ، الكلبى (٦٥٤ - ٧٤٢ هـ) مؤرخ لغوى ، نحوى ، حافظ ، كان محدث الديار الشامية ، ومصر فى عصره ، مولده فى حلب ، ووفاته بدمشق [٢] .

قال الصفدى : « عندى منه فوائد ، وقواعد ، فى أسماء رجال الحديث لم أجدها ، ولم آخذها عن غيره .... ولم يستعر منى شيئا ، وأعاده إلاّ وقد نبّه فيه على نكتة ، كنت محتاجا إليها ، حتّى فى إجازة الشيخ فتح الدين لى » .

لم يكن له عناية إلاّ برجال الحديث ، ومن الطريف ما يرويه عنه الصفدى فى هذا الشأن ، قال :

« سألته عن القالى - بالقاف - ، والفالى - بالفاء - ، فقال : لا أعرف إلاّ الفالى - بالفاء - ، فعلمت أنّه ليس له عناية بغير الرواة للحديث ، وإلاّ فأبو على القالى - بالقاف - مشهور بين الأدباء ، معروف ، لا يكاد يجهله أحد من صغار الأدباء » .

---

(١) انظر : ذيول العبر ٢٧١ ، وأعيان العصر ٥ / ٤٠٠ ، والدارس فى تارخ المدارس ١ / ٢٠٥ ، وتاريخ الأدب العربى ، لبروكلمان ق ٦ / ٤٥٥ ، والأعلام ٧ / ١٧٦ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ١٧٣.

(٢) انظر : معجم الشيوخ ٢ / ٣٨٩ ، وبرنامج الوادى آشى ٩٦ ، وطبقات علماء الحديث ٢٧٥/٤، والوافى بالوفيات ١٨ / ٣٩٠ ، ٢٩ / ٢٤٢ ، وأعيان العصر ٥ / ٦٤٤ ، ووفيات التلاّمى ١ / ٣٩٦ ، وتوضيح المشتبه ٨ / ١٣١ ، والأعلام ٨ / ٢٣٦ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٣٠٨ .

وكان تاج الدين الكندى قد انتقد ديوان الخطب النباتية ، و واخذ ابن نباتة فى أماكن : من فساد المعنى ، والإعراب ، والتصريف ، واللغة ، وأجاب عنه الموفق عبد اللطيف ، وكتب الصفدى بهذا الديوان ثلاث نسخ ، وكتب على كل منها حواشى الكندى ، وقرأها على المزى ، فى سنة ٧٣٥ هـ فى الأشرفية دار الحديث ، بدمشق طلبا للرواية .

الدَّبَابيسى أو الدَّبُّوسى : أبو النون ، وأبو على ، يونس بن إبراهيم بن عبد القوى ، فتح الدين ، الكنانى ، العسقلانى (٦٣٥ - ٧٢٩ هـ) عالم ، محدث ، مسند الديار المصرية [١]

قرأ عليه الصفدى جميع القدر المسموع من كتاب « القناعة » لابن أبى الدنيا ، وجزءا فيه ثلاثة أحاديث من رواية الشيخ أبى أحمد ، عبيد الله بن محمد بن أحمد الفرضى ، بسماعه من ابن المقيّر وجزءا فيه « الأناشيد - وفى بعض النسخ : الأسانيد - الحسنة المختارة » من رواية الشيخ أبى غالب شجاع بن فارس الذهلى الحافظ ، عن شيوخه ، بسماعه ، من ابن المقيّر ، وجزءا فيه أحاديث منتقاة من أصول الشيخ الجليل أبى الرجاء محمد بن أحمد بن محمد الجَرْكَانى ، وجزءا فيه أحاديث عن مشايخ الإمام أبى طاهر السِّلَفى ، وجزءا فيه موعظة الأوزاعى للخليفة ، بإجازته من ابن المقيّر ، وجزءا فيه خطبة الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، بإجازته من ابن المقير ، وجزءا فيه مجلس من مجالس القاضى أبى المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الرُّويانى ، عن شيوخه ، بإجازة المسمّع ، من السبط ، وسمع عليه بقراءة غيره أشياء أخر كثيرة .

شيوخـــه الذين سمعوا منه :

- **ابن الدمياطى** : أحمد بن أيبك بن عبد الله ، الحسامى [٢] .

---

(١) انظر : ذيول العبر ٨٦ ، والوافى بالوفيات ٢٩ / ٣٧٢ ، وأعيان العـصر ٥ / ٦٧٥ ، والأعلام ٨ / ٢٦٠ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٣٤٥ .

(٢) (٧٠٠ - ٧٤٩ هـ) مؤرخ ، محدث .

انظر : الوافى بالوفيات ٦ / ٢٦٠ ، وأعيان العصر ١ / ١٧٥ ، والأعلام ١ / ١٠٢ ، ومعجم المؤلفين ١ / ١٧١ .

- **ابن كثير** : إسماعيل بن عمر بن كثير .
- **ابن الثرد** : على بن إبراهيم بن على بن معتوق [١] .
- **البرزالى** : أبو محمد ، القاسم بن محمد بن يوسف .
- **الذهبى** : محمد بن أحمد بن عثمان .
- **الحسينى** : محمد بن على بن الحسن .
- **المِزّى** : أبو الحجاج ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف .

شيوخـــه الذين أجازوه :

- **ابن كَيْكَلْدِىّ** : أبو سعيد ، خليل بن كَيْكَلْدِىّ بن عبد الله ، العلائى ، الدمشقى .

قال الصفدى : « وقد أجاز لى ، بخطه كل ما يجوز له تسميعه ، وكان يكتب فى الإجازات بيتا مفردا وهو :

أَجَازَهُمُ المَسْئُولُ فِيهِ بِشَرْطِهِ خَلِيلُ بْنِ كَيْكَلْدِى العَلاَئِى كَاتِبُهُ

وهذا مثل ما أكتبه أنا - أيضا - فى الإجازات ، وهو :

أَجَازَ لِلسَّائِلِينَ مَا سَأَلُوا فِيهِ خَلِيلُ بْنُ أَيْبَكِ الصَّفَدِى

- **الرَّبَعَى** : أبو محمد ، عبد العزيز بن عبد القادر ابن أبى الكرم أحمد بن أبى الدُّرّ محمود .
- **التبريزى** : أبو بكر ، عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد ، القاضى [٢] .
- **ابن عقيل** : أبو محمد ، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله ، بهاء الدين [٣] .

---

(١) (٦٩٧ - ٧٥٠ هـ) وعظ ببغداد ، ودمشق ، شاعر ، ناثر .
انظر : أعيان العصر ٣ / ٢٤٩ ، وفوات الوفيات ٢ / ٤٦٣ ، ووفيات السلامى ١ / ٢٨٩ ، والدرر الكامنة ٣ / ٨ .

(٢) (٦٤٨ - ٧٤٠ هـ) فقيه ، أديب ، خطيب ، تولى القضاء بمَلَطْية ، وعجلون ، وقضاء القضاة بصفد . انظر : معجم الشيوخ ١ / ٤٠٨ ، والوافى بالوفيات ١٩ / ٥٤ ، وأعيان العصر ٣ / ١٢٤، وتذكرة النبيه ٢ / ٣٢٠ ، والدرر الكامنة ٣ / ٧ والأعلام ٤ / ٤٩ ومعجم المؤلفين ٥ / ٣١١ .

(٣) (٦٩٨ - ٧٦٩ هـ) من أئمة النحاة ، من نسل عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولى قضاء القاهرة ، مولده ووفاته بها . =

– **ابن رزين** : عبد المحسن بن عبد اللطيف بن محمد بن الحسين القاضى ، علاء الدين [١] .

– **ابن قُرَيْش** : أبو الحسن ، على بن إسماعيل بن إبراهيم ، نور الدين ، المخزومى [٢] .

– **البَنْدَنِيجِى** : أبو الحسن ، على بن محمد بن ممدود بن جامع شمس الدين .

– **ابن الأَكْفَانِى** ، أبو عبد الله ، محمد بن إبراهيم بن ساعد ، شمس الدين الأنصارى .

– **ابن جماعة** : أبو عبد الله ، محمد بن إبراهيم بن سعد الله .

– **القِمَّنِى** : محمد بن الحسن بن إبراهيم ، فتح الدين ، الأنصارى

– **ابن إمام المشهد** : أبو محمد ، وأبو المعالى ، محمد بن على بن سعيد ، بهاء الدين .

– **ابن نُبَاتَة المحدث** : محمد بن محمد بن الحسن ، الفارقى [٣] .

– **ابن القَوْبَع** : أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن عبد الرحمن ، ركن الدين ، الجعفرى .

– **ابن نُبَاتَة الشاعر** : أبو بكر ، محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ، الفارقى .

– **ابن سَيِّدِ النَّاس** : أبو الفتوح ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ، فتح الدين ، اليعمرى .

= انظر : الوافى بالوفيات ١٧ / ٢٥٢ ، وطبقات المفسرين ، للداودى ١ / ٢٣٣ والأعلام ٤ / ٩٦ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٧٠ .

(١) (ت ٧٣٣ هـ) قاض ، أديب ، كان خطيبا بالجامع الأزهر . انظر : الوافى بالوفيات ١٩ / ١٤٧ ، وأعيان العصر ٣ / ١٦٨ ، والدرر الكامنة ٢ / ٤١٢ ، وطبقات الشافعية ، للأسنوى ١ / ٥٩٦ .

(٢) (٦٥٢ – ٧٣٢ هـ) المسند ، المحدّث ، أحد الشهود . انظر : ذيول العبر ١٧٣ ، وأعيان العصر ٣ / ٢٩٥ ، والدرر الكامنة ٣ / ٢٣ ، وشذرات الذهب ٦ / ١٠٢ .

(٣) (٦٦٦ – ٧٥٠ هـ) من أشياخ الحديث ، بدمشق . انظر : الوافى ١ / ٢٧٠ ، وأعيان العصر ٥ / ١٩٢ ، ووفيات السلامى ١ / ٢٨٧ ، والدرر الكامنة ٤ / ١٧٣ .

– **أبو حيّان** : محمد بن يوسف ، أثير الدين ، الأندلسى .

– **الشهاب محمود** : أبو الثناء ، محمود بن سلمان بن فهد .

– **الأصبهانى** : أبو الوفاء ، محمود بن عبد الرحمن بن أحمد ، شمس الدين ، الهمذانى .

– **المِزِّى** : أبو الحجاج ، يوسف بن عبد الرحمن ، جمال الدين ، القضاعى ، الكلبى .

– **الدَّبَابيسى** : يونس بن إبراهيم بن عبد القوى ، فتح الدين ، الكنانى ، العسقلانى .

تلاميذه :

تلمذ للصفدى كثير من النابهين ، أذكر منهم :

المحدّث : أحمد بن على بن محمد بن أبى الفتح ، نور الدين ، الدمشقى ، نزيل حلب (ت ٨٠٤ هـ) قال ابن حجر :

« اشتغل فى علم الحديث ، وأقرأ فيه بحلب ، ودمشق ، ومن شيوخه فى الأدب صلاح الدين الصفدى » [١] .

الموصلى : الحسين بن على بن أبى بكر بن محمد ، بهاء الدين ، الحنبلى (٦٩٠ – ٧٥٩ هـ) شيخ الحديث بالعساكرية ، وأحد العدول بمركز المسمارية ، وخطيب قرية دومة ، وهو شاعرأديب ، له قدرة على حلّ الألغاز ونظمها ، وكان يحب نظم الضوابط [٢] .

قال الصفدى : « كتب بخطّه كتابى (فض الختام عن التورية والاستخدام) وقرأه علىّ .. وبينى وبينه مكاتبات ، ومحاورات ، ومراجعات ، ذكرت منها جانبا فى كتابى (ألحان السواجع بين البادى والمراجع) » .

---

(١) انظر : إنباء الغمر (القاهرة) ٢ / ٢١٠ .

(٢) انظر : الوافى بالوفيات ١٥ / ٢٣٣ ، وأعيان العصر ٢ / ٢٧٧ ، والدرر الكامنة ٢ / ٥٩ .

نجم الدين الدِّهْلى : أبو الخير ، سعيد بن عبد الله ، الحنبلى الهلالى ، الحريرى صنعة (٧١٢ - ٧٤٩ هـ) وكان يعرف التراجم والوفيات ، وما فيها من اختلاف الروايات ، ومن تصانيفه : كتاب « تفتت الأكباد فى واقعة بغداد » ، و « الرحلة الثانية إلى مصر » [١] .

اليمنى : عبد الباقى بن عبد المجيد بن عبد الله ، الشيخ تاج الدين المخزومى ، المكى (٦٨٠ - ٧٤٤ هـ) شاعر ، أديب ، مؤرخ كان يقرئ فى المقامات والعروض ، وكتب الدرج ، وتولى الوزارة باليمن ، ودرّس فى المشهد النفيسى بالقاهرة [٢] .

قرأ بعض كتب الصفدى ، وكتب عليها تقريظا نظما ، ونثرا .

ابن رجب : أبو الفرج ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، زين الدين ، السّلامى (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ) حافظ ، مؤرخ [٣] .

المصرى : أبو محمد ، عبد الرحمن بن محمد بن على ، تاج الدين ، ابن مفتى الشام (ت ٧٤٩ هـ) فقيه ، أصولى ، ناب عن والده فى العادلية الصغرى ، وفى الرواحيّة ، ودرس فى الدَّوْلَعِيَّة ، ومات شابا [٤] .

قرأ عليه فى دمشق ، فى سنة ٧٤٨ هـ .

السبكى : أبو نصر ، عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى ، تاج الدين ، قرأ عليه فى دمشق ، فى سنة ٧٤٨ هـ [٥] .

ابن القيسرانى : على بن يحيى بن إسماعيل ، علاء الدين (ت ٧٥٣ هـ) من كتاب ديوان الإنشاء فى دمشق .

قرأ على الصفدى « المعلقات السبع » ، و« ملحة الإعراب » [٦] .

---

(١) انظر : ذيول العبر ٢٧٧ ، والوافى بالوفيات ١٥ / ٢٣٣ ، وأعيان العصر ٢ / ٤٠٨ ، ووفيات السلامى ١ / ٢٨٢ ، والدرر الكامنة ٢ / ١٣٤ ، وشذرات الذهب ٥ / ١٦٣ .

(٢) انظر : الوافى بالوفيات ١٨ / ٢٣ ، وأعيان العصر ٣ / ١٢ ، ذيول العبر ٢٣٣ ، ووفيات السلامى ١ / ٤٣٧ ، والنجوم الزاهرة ١٠ / ١٠٤، والأعلام ٣ / ٢٧٢ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ٧٣ .

(٣) انظر : فهرس الفهارس والأثبات ٢ / ٦٣٦ ، والأعلام ٣ / ٢٩٥ ، ومعجم المؤلفين ٥/١١٨.

(٤) انظر : الوافى ١ / هـ ، و١٨ / ٢٦١ ، والدرر الكامنة ٢ / ٤٥٣ .

(٥) سبق التعريف به فى صفحة ١٨ .

(٦) انظر : أعيان العصر ٣ / ٥٧٤ .

الزَّرَنْدِى : أبو الحسن ، على بن يوسف بن الحسن ، نور الدين ، المدنى (قبل ٧٠٠ - ٧٧٢ هـ) محدث ، أديب ، شاعر مولده بطَيْبَة ، ورحل إلى العراق مع أخيه ، وسمع ببغداد ، وخوارزم ، ودمشق ، ومصر ، وحدَّث بالحرمين الشريفين ، وعُنى بالرواية ، وقرأ بنفسه على الشيخ شمس الدين .

وسمع من الصفدى ، ووصفه بالفهم ، والذكاء ، وكانت تعجبه فضائله .

له مناظرة الحرمين ومناضلة المحلّين[١] .

الشطرنجى : عيسى بن حجّاج بن عيسى بن شـدّاد ، السعدى ، العالية (ت ٨٠٧ هـ) شاعر من ذرية الوزير شاور بن مجير ، قال ابن حجر : « مهر فى الأدب ، وأجاد الشعر **لقى الصفدى** »[٢] .

خطيب صفد : أبو عبد الله ، محمد بن الحسن بن محمد كمال الدين (ت ٧٥٩ هـ) كاتب الدَّرْج بصفد ، **سمع من لفظ الصفدى بعض مصنفاته ، وكتب بعض مجاميعه**[٣] .

ابن سلام : أبو عبد الله ، محمد بن الحسين بن على ، كمال الدين ، الشافعى ، **قرأ عليه ، فى الروضة الشريفة ، بالمدينة المنورة فى سنة ٧٥٥ هـ**[٤] .

ابن الصائغ : أبو عبد الله ، محمد بن عبد الرحمن بن على ، شمس الدين ، الحنفى ، الزمردى (٧٠٨ - ٧٧٦ هـ) أديب ، فقيه ، تولى قضاء العسكر ، وإفتاء دار العدل[٥] .

تعلم من الصفدى الأدب والنظم .

الدِّمْيَاطى : أبو عبد الله ، محمد بن على بن حَرَمِى ، عماد الدين (٦٧٥ - ٧٤٩ هـ) فقيه محدّث ، فرضى ، ولى مشيخة الكامليّة[٦] .

---

(١) انظر : الوافى بالوفيات ٢٢ / ٣٥٦ ، والدرر الكامنة ٣ / ١٤٢ ، والسلوك ١ / ٣ / ١٩٣ ، والنجوم الزاهرة ١١ / ١١٦ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ٢٦٥ .

(٢) انظر : أنباء الغمر (القاهرة) ٢ / ٣١٠ .

(٣) انظر : الوافى ٢ / ٣٦٦ ، والدرر الكامنة ٣ / ٤٢٤ .

(٤) انظر : الوافى ١ / ٩٨ .

(٥) انظر : الوافى ٣ / ٢٤٤ ، والأعلام ٦ / ١٩٢ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ١٤٤.

(٦) انظر : الوافى ٤ / ٢٢٨ ، وأعيان العصر ٤ / ٦٦٠ ، ووفيات السلامى ١ / ٢٦٠ ، والدرر الكامنة ٤/ ٦٠ .

قال الصفدى : « سمع بقراءتى « المقامات الحريرية » ، وغيرها على شيخنا العلاَّمة أثير الدين ، وعلّق عنِّى أشياء » .

الأَنَفِى : محمد بن على بن الحسن ، أمين الدين ، نسخ جملة من مؤلفاته ، وقرأ عليه أشياء من شعره ، ومصنفاته [١] .

ابن عشائر : أبو المعالى ، محمد بن على بن عشائر ، ناصر الدين (٧٤٢ – ٧٨٩ هـ) حافظ ، مؤرخ [٢] .

الحنفى : محمد بن محمد بن أحمد ، الحنفى ، **قرأ عليه السيرة النبوية الشريفة من الوافى** [٣] .

ابن الأَدَمَى : محمد بن محمد بن أحمد ، أمين الدين (٧٣٨ – ٧٩٥ هـ) عالم ، أديب ، **أخذ الأدب عن الصفدى** ، درّس بالإقبالية [٤] .

البعلبكى : محمد بن محمد بن مِينا ، شمس الدين ، الشافعى (ت ٧٤٩ هـ) فقيه ، محدّث ، سمع من القاسم بن عساكر ، ومن عيسى المطعّم ، وغيرهما [٥] .

أعاد بالنظامية فى بغداد ، وتولّى قضاء الإقليم ، بدمشق .

قال الصفدى : « اجتمعت به غير مرّة ، وكتب عنِّى شيئا » .

مذهبه :

تكاد تجمع كتب التراجم على أنّ الصفدى شافعىّ المذهب [٦] وبالرغم من ذلك ؛ فإنّى أراه يميل إلى الظاهريّة ميلا واضحا ، وبخاصّة فى آرائه النقدية ،

---

(١) انظر : الوافى ٤ / ٢٢٦ .

(٢) انظر : المنهل الصافى ٥ / ٢٤٣ ، والأعلام ٦ / ٢٨٦ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ٥٩ .

(٣) انظر : الوافى ١ / ٩٨ .

(٤) انظر : تاريخ ابن قاضى شهبة ١ / ٣ / ٤٩٥ ، إنباء الغمر « مكة » ٣ /١٨٣ .

(٥) انظر : الوافى ١ / ٢٧١ ، وأعيان العصر ٥ / ١٩٣ ، ووفيات السلامى ١ / ٢٦٩ ، والدرر الكامنة ٤ / ٢٤٠ .

(٦) وهم كارل بروكلمان – هو ، أو مترجم كتابه « تاريخ الشعوب الإسلامية » – فذكر فى صفحة ٣٦٩ أنّ الصفدى مؤلف أحد الكتب الشهيرة المعتمدة فى الفقه المالكى ؛ فخلط بين الصفدى وبين خليل بن إسحاق المالكى ، كما خلط ابن القاضى بين الصفدى وخليل بن كيكلدى .

انظر : درة الحجال ١ / ٢٥٨ .

والنحويّة ، وقبل أنْ أستدلَّ على تأثره بالظاهريّة أحب أنْ أنبّه إلى أنَّ رؤساء المذهب الظاهرى كانوا جميعا من الشافعيّة ، وأوّلهم داود بن على الأصبهانى [١] صاحب المذهب ، كان من أكثر الناس تعصُّبا للشافعى ، وصنّف كتبا فى فضائله والثناء عليه كتابين [٢] ، وابن حزم [٣] كان شافعىّ المذهب ، ثم انتقل إلى نَفْى القياس ، والقول بالظاهر [٤] ، ويبدو أنّ الظاهريّة فى فكر الصفدى كانت من تأثير أستاذه أبى حيّان ، وأهمّ ما يميِّز الظاهريّة أمران [٥] :

أحدهما : الاعتداد بحرفيّة النص ، و لا يجوز صَرْف الآيات والأحاديث عن ظاهرها إلاّ ببرهان ، أو بنص من قرآن ، أو حديث ، أو إجماع متيقن ، أو ضرورة من حس .

وثانيهما : لا تكون المعرفة إلاّ بشهادة الحواس السليمة ، أو ببرهان راجع - من قرب ، أو بعد - إلى شهادة الحواس .

ويعلِّق الصفدى على عقيدة ابن حزم الظاهرى التى ذكرها فى أوّل « المحلّى » وقد كتبها الصفدى بخطه - بقوله [٦] :

وَهَذَا نَصُّ دِينِى ، وَاعْتِقَادِى وَغَيْرِى مَا يَرَى هَذَا يَجُوزُ

ويقول عن الإسلام [٧] : « أشرف ملّة أبطل فضلها المنصوص من غيرها قواعد القياس » .

---

(١) (٢٠١ - ٢٧٠ هـ) أحد المجتهدين . انظر الوافى بالوفيات ١٣ / ٣٧٤ والأعلام ٣٣٣/٢ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ١٣٩ .

(٢) الوافى بالوفيات ١٣ / ٤٧٣ .

(٣) أبو محمد ، على بن أحمد بن سعيد ، الأندلسى (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ) عالم الأندلس فى عصره ، وأحد الأئمة المجتهدين ، له مؤلفات كثيرة .

انظر : طبقات الحفاظ ، للسيوطى ٤٣٦ ، والكنى والألقاب ١ / ٢٦٤ ، والأعلام ٤ / ٢٥٤ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ١٦ .

(٤) تاريخ الإسلام ، للذهبى [٤٤١ - ٤٦٠] ٤٠٥ .

(٥) تاريخ الفكر العربى ، لعمر فرّوخ ٥٩٥ - ٥٩٧ .

(٦) الوافى بالوفيات ٧ / ٢٣ .

(٧) الوافى بالوفيات ١ / ٣ .

من أمثلة تأثُّره بالظاهريّة :

* فى قوله تعالى﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١) .

يقول الصفدى : « فأصحاب التأويل قالوا : الوقف عند قوله : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ بناء على أنَّ الواو عاطفة ، والظاهرية يقولون : الوقف على « إلاّ الله » ، والواو استئنافيّة ، وعلى هذا لا يعلم المتشابه إلاّ الله ... وهو المختار عندنا » (٢) .

* قد يخرج الصفدى عن حد الاعتدال فى التشبُّث بحرفيّة النص ؛ فعاب على ابن الأثير (٣) بدْء كتابه المثل السائر بقوله : « نسأل الله أنْ يبلِّغنا من الحمد ما هو أهله » . قال : قال رسول الله ﷺ : « كُلُّ كَلامٍ لا يُبْدَأُ فِيه بِحَمْدِ اللهِ فَهُوَ أَجْذَمُ » (٤) .

فلو قال : ﷺ الحمد لله (لكان أفضل ، وربَّمَا عيب ذلك على الزمخشرى (٥) فى أوّل المفصّل كونه قال : « اللهَ أحمد » ، وعلى الحريرى (٦) كونه قال : « اللهمّ إنَّا نحمدك » ؛ لأنّهما ما افتتحا كلامهما بالحمد ، والأولى الأخذ بما جاء عن الله تعالى ... . . والفاتحة هى أم الكتاب ، والعمدة فى الصلاة إنّما افتتحت بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (٧) .

---

(١) سورة آل عمران ٣ : ٧ (٢) الغيث المسجم ١ / ٦٥ .

(٣) أبو الفتح ، نصر الله بن محمد ، ضياء الدين ، الشيبانى ، الجزرى (٥٥٨ - ٦٣٧ هـ) من الوزراء الكتّاب ، أديب ، ناقد . انظر : الأعلام ٨ / ٥٧ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٩٨ .

(٤) انظر : الجامع الصغير ٩٤ .

(٥) أبو القاسم ، محمود بن عمر ، جار الله ، الزمخشرى ، الخوارزمى (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) إمام فى التفسير ، واللغة ، والنحو ، والأدب ، شاعر ، أديب .

انظر : الأنساب ٦ / ٢٩٧ ، وأزهار الرياض ٢ / ٢٨٢ ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢٢٩ ، وإنباه الرواة ٣ / ٢٦٥ ، والأعلام ٧ / ١٧٨ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ١٨٦ .

(٦) أبو محمد ، القاسم بن على ، الحريرى ، البصرى ، الحرامى (٤٤٦ - ٥١٦ هـ) أديب ، شاعر ، صاحب المقامات ، ودرّة الغواص .

انظر : المنتظم ٩ / ٢٤١ ، والفلاكة والمفلوكون ١١٨ ، والعبر ٢ / ٤٠٧ ، والأعلام ٥ / ١٧٧ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ١٠٨ .

(٧) انظر : نصرة الثائر على المثل السائر ٥٣ .

* ربّما اعتدّ الصفدى بشهادة الحس ، وبديهة العقل إلى حدٍّ يصل به إلى المماحكة اللفظيّة ، والمحاجّة الذهنيّة ، واعتساف الأحكام ؛ كالإيراد الذى نقد به البيتين :

وَقَائِلَةٍ : مَا بَالُ دَمْعِكَ أَبْيَضَا ؟ فَقُلْتُ لَهَا : يَا عَلْوُ هَذَا الَّذِى بَقِى

أَلَمْ تَعْلَمِى أَنَّ البُكَا طَالَ عُمْرُهُ فَشَابَتْ دُموعِى مِثْلَ مَا شَابَ مَفْرِقِى ؟

فيقول [١] : « هذا مشهور ، وهو حسن ، ولكن لى عليه إيراد يذهب حسنه ، ويبقى له عذوبته ، وانسجام تركيبه ، فقط ، وهو أنَّ بقيّة الشىء من جنس ما نفد منها ، وإذا كانت البقية بيضاء دلّت على أنَّ الذى نفد منها كان أبيض ؛ فعلى هذا ما خرج عن عهدة مطالبتها له بالعذر عن بياضه ؛ فإنْ قلت : هذا يفهم من قوله « شابت » فدلّ على أنّها انقلبت من اللون الأول إلى لون المشيب ، وهو البياض . قلت : لم يقل : إنّه كان أحمر قبل هذا ، ولا فى البيتين مايدلُّ على شىء من هذا ، بل قال : هذا الذى بقى وهذا يصلح أنْ يكون جوابا لها إذا قالت : إنَّ دمعك قليل » .

* ويقول : « إذا ورد التفسير ، وثبت النَّقْل بشىء فما يمكن غير قبوله ، والعمل به فى موضعه ، من غير أنْ يُتَعَدَّى به ذلك الموضع هذا إذا خالف قاعدة ، وإنْ أمكن ترجيحه رُجِّح » [٢] .

والقارئ لكتبه يجد أمثلة كثيرة لاحتكامه إلى العلم والعقل فى نقده ، وآرائه العلمية ، وكثيرا ما يمزج أحكامه بقوانين العلوم التطبيقيّة - وبخاصّة علمى : التشريح والطب [٣] - فآراؤه - فى الغالب - تتفق مع نظريّة المعرفة عند ابن حزم والتى أساسها جَعْل « العلم والمعرفة اسمين واقعين على معنى واحد ، وهو : اعتقاد الشىء على ما هو عليه ، وتيقُّنه به ، وارتفاع الشكوك عنه » [٤] .

---

(١) لذة السمع ٩٨ .

(٢) نصرة الثائر ٦٩ .

(٣) انظر تعليله للدموع التى تبدلت بها الدم فى « لذة السمع » ١٧٠ - ١٧١

(٤) انظر « نظرية المعرفة عند ابن حزم » فى تاريخ الفكر العربى ٥٩٥ .

أخلاقه وصفاته :

وَصَفَه أصدقاؤه بأنّه : الكامل ، المشارك فى الفضائل ، إليه المنتهى فى مكارم الأخلاق ، ومحاسن الشِّيم ، محبب إلى الناس ، حسن المعاشرة ، جميل المودّة ، عظيم المروءة ، حافظ للعهد ، يراسل أصحابه ومعارفه إنْ بعدوا عنه ، ويسأل عنهم ، ويتفقّد أحوالهم ، وتقوى رابطة الإسلام بينه وبينهم إن قربوا منه [١] .

وقد أشاد أساتذته بتوقُّد ذهنه ، وحدّة ذكائه ، وشدّة نشاطه [٢] ، فيه تواضع العلماء ، يسأل أهل العلم عمّا يحتاج إليه فى كتبه من فقه ، وحديث ، وأصول ، ونحو [٣] ، وكان - إلى جانب ذلك - بليغا ، فصيحا [٤] .

وإذا كنّا لا نجد وصفا له فى هيئته ، ومظهره ، فى التراجم التى بين أيدينا نفترض فيه - باعتباره كاتبا من أبرز كتّاب الدواوين - أنْ يكون متّصفا بالصفات اللازمة لمن يتولّى الكتابة فى ديوان الإنشاء ، متحلِّيا بأخلاقهم ، وهى : أنْ يكون صبيح الوجْه ، فصيح الألفاظ ، طليق اللسان ، أصيلا فى قَوْمِه ، رَفِيعًا فى حَيّه ، وقورا ، حليما ، مُؤْثِرًا للجد على الهزل ، مهيب المجلس .... إلى غير ذلك [٥] ، وكل ما نعرفه عنه أنّه ثَقُل سمعه فى آخر عمره [٦] .

أمّا حياته الخاصّة ، وأسرته ، فمعلوماتنا عنهما قليلة ، ونكاد لا نعرف عنهما شيئا إلاّ ما رواه هو فى كتبه ، فمن ذلك :

* كان له إخوة ، وأخوات ، ذكر منهم أخاه إبراهيم [٧] الذى كان يقرأ « منهاج »

---

(١) انظر : الدرر الكامنة ٢ / ٨٧ - ٨٨ .

(٢) انظر : الوافى بالوفيات ٧ / ٢٠ - ٢٢ .

(٣) انظر : طبقات الشافعيّة الكبرى ١٠ / ٥ .

(٤) انظر : الوافى بالوفيات ٤ / ١٩٣ .

(٥) انظر : صبح الأعشى ١ / ١٠٤ ، وبهذه الصفات وصفه ابن القاضى فى درة الحجال ، وزاد قوله : « وكان يواسى طلبة العلم كثيرا » . انظر : درة الحجال ١ / ٢٥٨ .

(٦) الدرر الكامنة ٢ / ٨٧ .

(٧) انظر : الوافى بالوفيات ٥ / ٣٣٠ ، والسلوك ٢ / ٣ / ٦١٣.

البيضاوى على القونوى [١] ، و« ألفية ابن مالك » على ابن المرحّل [٢] ، وتوفى فى سنة ٧٤٢ هـ .

* كان له أولاد ، وبنات ، نعرف من أولاده محمدا [٣] ، أجازه أبوه [٤] ، ومن بناته واحدة ، أشار إلى عملية جراحية أجراها لها البرقعيدى فى عينها [٥] .

* وكان له مماليك ، ذكر منهم أرغون ، ومرادا .

أمّا أرغون فهو : أرغون بن عبد الله ، الخطّائى ، أجازه الصفدى فى دمشق ، فى سنة ٧٤٨ هـ [٦] .

وأمّا مراد فهو : مراد بن عبد الله ، التركى ، أجاز له فى دمشق فى سنة ٧٤٨ هـ [٧] .

ويبدو أنّ مرادا هذا كان ربيبا له ، يحمل دواته ، وكان جميل الصورة ، وكان الأمير سيف الدين قرابغا - دوادار الأمير سيف الدين أرغون شاه - أراد التودّد إلى أستاذه بإهداء مملوك إليه ، ووُصِفَ له مراد ؛ فدخل إلى قاعة الإنشاء ، وأخذه بيده ، وسلّمه إلى طواشى أرغون شاه ، وقال : هذا مملوك مَلِكِ الأمراء .

---

(١) انظر : أعيان العصر ٣ / ٥٤٣ .

والقونوى هو : أبو الحسن ، على بن محمود بن حميد ، الحنفى ، الصوفى (ت ٧٤٩ هـ) المدرس بالقليجيّة، والمترجم بديوان الإنشاء ، له ترجمة فى : الوافى بالوفيات ٢٢ / ١٨٨ ، وأعيان العصر ٣ / ٥٤٢ ، والدرر الكامنة ٢ / ١٢٦ .

(٢) أعيان العصر ٣ / ١٦٥ .

وابن المرحّل هو : عبد اللطيف بن عبد العزيز ، شهاب الدين الحرّانى (ت ٧٤٤ هـ) نحوى ، خطّاط ، يتّجر فى الكتب ، له ترجمة فى : الوافى بالوفيات ١٩ / ١١٩ ، وأعيان العصر ٣ / ١٦٤ ، وتذكرة النبيه ٢/٤٩، والدرر الكامنة ٢ / ٤٠٦ ، والسلوك ٢ / ٣ / ٦٥٩ ، وشذرات الذهب ٦ / ١٤٠ .

(٣) أبو عبد الله ، محمد بن خليل بن أيبك ، بدر الدين ، ترجمه ابن قاضى شهبة فى تاريخه ١ / ٣ / ٦٨٣ ، ويقول الصفدى : « رزقنى الله ولدا ذكرا ، فى ليلة الأحد تاسع وعشرين صفر سنة ٧٤٣ هـ ، وسمّيته محمدا ، وكنيّته أبا بكر ، ولقّبته تاج الدين ، انظر : ألحان السواجع ٢ / ١٧٤.

(٤) انظر : الوافى ١ / ج .

(٥) أعيان العصر ٣ / ٣٠٨ .

والبرقعيدى هو : على بن أبى بكر ، علاء الدين ، الكحّال (ت ٧٦٢ هـ) طبيب ، كان كحّالا بالبيمارستان النورى ، بدمشق ، له ترجمة فى أعيان العصر ٣ / ٣٠٨ .

(٦) انظر : الوافى ١ / ٩٧ .

(٧) انظر : الوافى ١ / ٩٧ .

أغضب هذا التصرّف الصفدى ، وحاول دفع الظُّلم عنه ، ولكنّه لم يتجاوز الأصول ؛ فكتب إلى القاضى ناصر الدين صاحب الديوان فى هذا [١] :

يَاسَيِّدًا قَدْ صَار ظِلُّ جَنَابِهِ ... لِى جُنَّةً إنْ جَادَ دَهْرِى أوْ بَغَى
أَتَرَى الزَّمَانَ مُعَانِدِى ، وَمُحَارِبِى ... حَتَّى رَمَانِى فِى الوَرَى بِقَرَابُغَا ؟

فرُدَّ عليه مملوكه ، ولمّا مات حزن عليه حزنا شديدا ، فصلّى عليه فى الجامع الأموى ، ودفنه بمقابر الصوفيّة ، ووقف على قبره يتلقّى عزاءه [٢] .

* وكان له جَوَارٍ ، قال فى رثاء جارية له توفِّيت [٣] :

دَفَنْتُهَا كَالبَدْرِ تَحْتَ الثَّرَى ... وَمِنْ شَقَائِى مُدَّتِى مُدَّتِ
كَانَتْ إذَا مَا سَيْفُ أَجْفَانِهَا الْـ ... مُرْهَفُ يَدْعُو لَبَّتِى لَبَّتِ
مَا سَجَعَتْ فِى الأَيْكِ وُرْقُ الحِمَى ... لَكِنَّهَا فِى عِزَّتِى عَزَّتِ

تديّنه :

يكثر فى كتب الصفدى شعر المجون ، وحكاياته ، له ولغيره وله الكثير - من الشعر ، والمقامات - فى التغزل بالغلمان ، وقد تثير هذه الأشياء سؤالا عن سلوكه الأخلاقى ، والتزامه الدينى ، وبخاصّة أنّه أمير من أمراء المماليك ذوى الثراء والنفوذ ، وقد بيّن السبكى ما عرف عنهم من انحلال أخلاقى وانحراف عن الدين .

من المؤكّد أنّ الصفدى كان من أعفّ الناس فرجا ، وأقومهم سلوكا ، وأكثرهم تحلّيا بالفضائل ؛ فما سمعنا عنه شائبة - على كثرة حسّاده ، ومنافسيه ، وشانئيه - تسىء إليه ، ولا ذُكر عنه خطأ وقع فيه ، وما مجونه - فى الحقيقة - إلاّ مجاراة لأدباء عصره ، والمشاهير منهم ، وبخاصة علماء الحديث ، والقضاة فلا تخلو ترجماتهم من شعر لهم فى المجون ، وهى ظاهرة فاشية ، فى ذلك العصر ؛ يكفى مثل واحد أضربه على هذه الظاهرة ، فى ترجمة ابن دقيق العيد [٤] الذى يكاد

---

(١) أعيان العصر ٤ / ٨٢ .
(٢) أعيان العصر ٣ / ٥٦٩ .
(٣) نفسه ٤ / ٢٧٠ .
(٤) أبو الفتح ، محمد بن على بن وهب بن مطيع ، تقى الدين ، القشيرى ، المنفلوطى (٦٢٥ - ٧٠٢ هـ) قاضى القضاة ، مفسر ، محدّث ، شاعر ، أديب له كثير من المؤلفات ، أشهرها الإلمام بأحاديث الأحكام . انظر : أعيان العصر ٤ / ٥٧٦ ، والأعلام ٦ / ٢٨٢ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ٧٠ .

يجمع مترجموه على أنَّه هو المبعوث على رأس المائة السابعة ليجدِّد للأمّة أمر دينها وهو القائل « لكاتب الشمال عشرين سنة - أو قال : سنين .... - لم يكتب عليّ شيئا » ، وفى وصف الصفدى له أنّه كان « بخيلا بالكلام ، قلّ أنْ يُسْمَع منه غير رد السلام ، شديد الورع ، مديد الباع إذا قام فى أمر شرعى وشرع ، ملازم السهر والسهاد ... » ومع كلّ هذا الوقار والهيبة ، يروى له بُلَيْقَة [١] أوّلها :

كَـيْـفَ أَقْـدر أَتـوبْ وَرَأْس أَيْرِى مَثْقُوبْ ؟

ويروى له غيرها من المقاطيع الغزلية ، والبلاليق الماجنة ، ويروى ذلك عنه علماء أفاضل دون حرج ، أو شك فى عفافه ، أوطعن فى أخلاقه [٢] .

ومن المؤكد أيضا أنّ الصفدى كان صحيح العقيدة ، كثير العبادة ، حافظا للقرآن الكريم ، راويا للحديث الشريف ، بل إنَّه لبس خرقة التصوف من الشيخ موسى بن أحمد ، مجد الدين الأقصرائى ، شيخ الشيوخ بسرياقوس ، وساق سلسلة الشيوخ المريدين بسند متصل ، إلى الإمام على بن أبى طالب - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ [٣] ، ويبدو أنّ التصوُّف عنده عقيدة وسلوك ، وليس شعوذة واتكاليّة ، أو مظهرا خادعا مضلِّلا .

ومن أصدق الأدلّة على تديّنه أمور ، منها :

الأول : حبّه للزهّاد ، والفقراء ، والمنقطعين للعبادة ؛ فكان يبرّهم ويحسن إليهم ، ويتفقّد أحوالهم ، ويدافع عنهم [٤] ، حريصا على التودد إلى أهل الصلاح ، والتقرب منهم ، والاعتقاد فيهم ففى ترجمة ابن شِرْشِيق [٥] ، قال [٦] : « وبيته بيت

---

(١) البُلَيْقة : نوع من الشعر الشعبى ، فيه فكاهة ومجون ، انظر :

Dozy , Supp. Dict. Arab. V.I , p 114.

(٢) راجع : أعيان العصر ٤ / ٥٩٨ ، و٤٩٩ .

(٣) نفسه : ٥ / ٤٧٥ .

(٤) راجع : الغيث المسجم ١ / ١٧٣ .

(٥) أبو الكرم ، محمد بن شِرْشِيق بن محمد (٦٥١ - ٧٣٩ هـ) محدث ، فقيه ينتهى نسبه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه . انظر : الوافى بالوفيات ٣ / ١٤٩ ، ونكت الهميان ٢٥٣ ، وأعيان العصر ٤ / ٤٦٣ ، والدرر الكامنة ٣ / ٤٥٢ .

(٦) أعيان العصر ٤ / ٤٦٥ .

رئاسة وحشمة وسؤدد ومروءة ، والخير والإحسان معروف بهم ، ولم تمس يد هذا الشيخ شمس الدين من نشأته إلى موته فضة ولا ذهبا ، وجوده فى تلك البلاد مشهور ، وكان له كشف وأحوال وحلم وتجمل ، وهو وأهل بيته معروفون بمناصحة الإسلام ، ويكاتبون ملوك مصر ونواب أطراف بلاد الشام .

ولمّا كنت فى الرحبة سنة ٧٢٩ هـ ، وما بعدها أهديت إليه قماشا إسكندريّا ، وأهدى إلىّ أشياء من طرائف سنجار ، ولم تزل رسله مدة مقامى بالرحبة تتردد إلى الرحبة ، وأخدمهم ، وأقوم بما يجب لأجله ، رحمه الله تعالى .

والثانى : شعره الكثير فى مدح رسول الله ﷺ ، وأصحابه ، وآل بيته [٢] ، إلى جانب شعره فى الزهد ، والتضرّع ، وسيكون لى معه وقفة فى الحديث عن أغراض شعره .

ويزور الصفدى المعشوق [٣] ، وهو المكان الذى وُضِعَتْ فيه آثار رسول الله ﷺ ، وهى : قطعة من العَنَزَة ، ومِرْوَد ومِخْصَف ، ومِلْقَط ، وقطعة من القَصْعَة ، وهذه الآثار اشتراها الصاحب تاج الدين ابن حِنّا [٤] ، بمبلغ ستين ألف درهم ، ويقول الصفدى [٥] : « كَحَّلْتُ نَاظِرَىَّ برؤيتها ، وقلت أنا :

أَكْرِمْ بِآثَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ مَنْ زَارَهَا اسْتَوْفَى السُّعُودَ مَزَارُهُ

---

(١) راجع : الغيث المسجم ١ / ١٧٣ .

(٢) من ذلك قصيدته التى عارض بها البردة . انظر : الوافى بالوفيات ١ / ٩٤

(٣) من سياقة رواية الصفدى ، فالمعشوق مكان فى مصر منسوب للصاحب ابن حنّا ، وقد وُضِعت فيه آثار رسول الله ﷺ ، ولم يشر إليه ياقوت ، أو غيره

فإنّ المعشوق عنده : قصر عظيم بالجانب الغربى من دجلة ، قبالة سامرّاء ، ليس حوله شىء من العمران .

انظر : معجم البلدان ٥ / ١٥٦ ، ولم يشر إليه فى المشترك .

(٤) أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن على ، الصاحب ، تاج الدين ، ابن حنّا (٦٤٠ - ٧٠٧ هـ) محدّث ، أديب ، ولى الوزارة مرتين .

انظر : ذيول العبر ٣٨ ، وأعيان العصر ٥ / ١١٢ ، والنجوم الزاهرة ٨ / ٢٢٨ وشذرات الذهب ٦ / ١٤ ، والأعلام ٧ / ٣٢ .

(٥) أعيان العصر ٥ / ١١٣ ، والوافى بالوفيات ١ / ٢١٨ .

يَا عَيْنُ دُونَكِ ؛ فَالْحَظِى ، وَتَمَتَّعِى إنْ لَمْ تَرَيْهِ ؛ فَهَذِهِ آثَارُهُ

الثالث : يبدو أنّه كان يسمّى أولاده الذكور جميعا باسم محمد ، فقد سبق أنْ ذكرنا له ولدين باسم محمد [١] :

الأول : أبو عبد الله ، محمد ، بدر الدين .

والثانى : أبو بكر ، محمد ، تاج الدين .

وكان يفرّق بين الأبناء بالكنى والألقاب ، وهذه ظاهرة فى التسمية كانت فاشية فى البيئات المتدينة ، فى مصر ، ولا تزال إلى اليوم فى القرى المصرية .

وفاته :

توفى بالطاعون ، ليلة الأحد ، العاشر من شوّال ، من سنة ٧٦٤ هـ ، فى دمشق ، ودفن بالصوفيّة [٢] ، رحمه الله تعالى .

---

(١) راجع صفحة ٨٤ .

(٢) يراجع فى ترجمة الصفدى - زيادة على المصادر المذكورة فى الحواشى السابقة - روضات الجنات ٧١٧ ، وتاريخ الأدب العربى ، لجورجى زيدان ١٦١/٣ ، واكتفاء القنوع ٣٤٥ ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ٢ / ١٢١٠ وتاريخ الأدب الجغرافى العربى ٢٨٢ ، والقاموس الإسلامى ٤ / ٢٨٣ ، ومنتخبات التواريخ لدمشق ٢ / ٥٤٢ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ١١٤ .

obeikandl.com